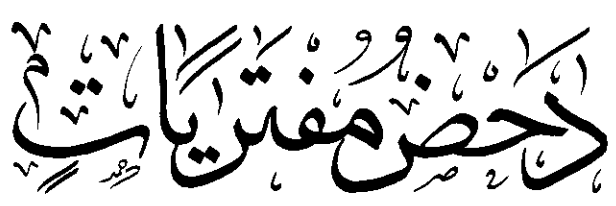


ضد إعجاز القرآن ولغته - وأباطيل أخرى اختلقها
الصليبي المستغرب الدكتور لويس عوض

بقلم
د/ البدراوي عبد الوهاب زهران
أستاذ فقه اللغة المشارك والدراسات اللغوية بجامعة أسيوط
وجامعة أم القرى بمكة المكرمة
وخبير مجمع اللغة العربية بالقاهرة




بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ، وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾

(سورة الأنبياء آية ١٨)



بسم الله الرحمن الرحيم

تصديـر

الدكتور لويس عوض من المثقفين المصريين القلائل الذين أمدوا المكتبة العربية بزاد غير قليل من الفكر الذى ينبىء عن سعة اطلاع وعمق فى الثقافة ، وتنوع فى المعارف والعلوم .. غير أنه يؤخذ على ما يقدمه من فكر أنه ينحو به نحو الهوى وينحرف به عن الحق لحاجة فى نفسه .. فلا يسلم عمل يقدمه من سموم يزرعها وأباطيل يدسها ....

ومكمن الخطورة فى أنَّ بعض ما يقدمه من أعمال تأخذ الطابع العلمى الذى يمكن أن يتقبله القارىء على أنه من الأمور العلمية المسلم بها على حين أن الأمر مخالف تماما فليس حقيقة التغليف العلمى إلا السم الذى يبتلعه القارىء فى المحيط الاسلامى لا سيما إذا صدر العمل على هيئة كتاب يحمل الطابع العلمى الأكاديمى . على نحو كتابه هذا الذى صدر يحمل عنوان «**مقدمة فى فقه اللغة العربية**» ـ وقد أصدرته الهيئة المصرية العامة للكتاب . وقُدِّم فى المعرض الدولى للكتاب بمصر وتلقفته الأيدى ـ وتبين بعد قراءته أنه حملة على العقيدة الإسلامية والجنس العربى واللغة العربية إلى آخر ما جاء فيه . من أباطيل عرضها عرضاً يبهر القارىء السريع وفوق

هذا فقد ألبسه ثوب البحث العلمى غير أن عدداً من الأقلام المتخصصه المخلصة سى مصر تصدت لهذا الكتاب بالمناقشة والتفنيد حتى أن الأمر نصل إلى القضاء فى مصر ، ولم يجد الدكتور لويس عوض ما يدافع به عن نفسه أمام القضاء وعلى صفحات الصحف إلا أن يقول :

« أملك حق الاجتهاد . ولا ادعى العصمة» وهو دفاع يؤكد فيه اعترافه بخطئه .. فهو لم يدفع عن نفسه تهمة واحدة ولم يدافع عن وجهة نظر خاطئة أو منحرفة أو حاقدة مما جاءت فى كتابه ، وكأنه توهَّم أنّ حق الاجتهاد أبيح لتزويل الحقااق ـ والاعتداء على المعتقدات ، وقلب الحق باطلاً وبث سموم الحقد الذى يثير الفتن .

وبعد أن افتضحت حقيقة الكتاب واكتشف زيف ما فيه اتخذت السلطات فى مصر بعض إجراءات تحمى بها عقول شبابها الناشىء مما يسىء إليه غير أن صيحات ارتفعت فى بعض الصحف هنا وهناك تهاجم هذا الإجراء وتقف ضده وتتباكى على حرية الرأى وتنادى بوجوب قرع الحجة بالحجة ومواجهة العقل بالعقل .. إلى آخر ما جاء من كلمات حق أريد بها باطل[1]

وبعد حين من الزمن عاد الكتاب للتداول فى معظم البلدان العربية فهو يحمل عنواناً ذا طابع علمى ويعرض ما جاء فيه عرضاً يلبسه ثوب البحث العلمى والقارىء سواء فى مجال الثقافة العامة أو

---

(١) مثل مقال الأستاذ رجائى النقاش الذى صدر فى مجلة الدوحة ـ تحت عنوان : لماذا تصادر هذه الكتب ... (الدوحة عدد ٧٦ ـ الصادر فى جمادى الثانية ١٤٠٢هـ/أبريل ١٩٨٢م) .

حتى فى المجال التخصصى يأخذ ما يقدم له من آراء مأخذ الحقائق المسلم بها لا سيما وأنه لا يدرى ما أثير بشأن الكتاب على ساحة الفكر والقضاء فى مصر لذا كان لزاما أن يوضع أمام القارىء ما يجلى له الحقيقة ، ويضع يده على ما يجده من مواطن بلبلة واضطراب ..

لذا فقد كان من الصواب أن تقدم هذه المقالات التى تنقض ما جاء فى هذا الكتاب من مزاعم باطلة غير علمية نقضاً علمياً .. بأسلوب هادىء بعيد عن الانفعال .

وقد أتينا فى نهاية المقالات بما كتبه الأستاذ رجاء النقاش من دفاع عن صاحبه حيث جاء بقلمه تحت عنوان :

لماذا تصادر هذه الكتب وجاء فوق هذا العنوان بأعلى الصفحة عنوان آخر يقول : صرخة لعلها تجد صداها عند الذين يسمحون ويمنعون .. ثم جاء عنوان آخر تحت العنوان الأساسى بخط كبير يقول :

«لماذا لا نواجه الأفكار بالأفكار .. والعقول بالعقول ؟ ..»

أتينا بهذا المقال ـ وبتحقيق صحفى آخر فى النهاية لأسباب . منها أن يعلم الذين يكيدون للإسلام أن الإسلام دين قوى متين أقيم على دعائم الحق فهو يزداد قوة بأقوال خصومه على مر العصور .

فما كتبه الأستاذ النقاش وهو يدافع عن صاحبه ما يدينهما معا فمما قاله على سبيل التمثيل :

«وقد يندهش القارىء بعد ذلك كله إذا قلت اننى كنت منذ أن قرأت الكتاب مخطوطاً أعارض كل المعارضة ما يطرحه الكتاب من

أفكار ، فالكتاب فى النهاية هو دفاع علمى عن وجهة النظر المعروفة للدكتور لويس عوض ، والتى أرفضها كل الرفض جملة وتفصيلاً وهى وجهة النظر التى تقول : إن الحضارة العربية بآدابها وفلسفتها وعلومها ولغتها وعمرانها وكل شىء فيها ليست حضارة أصيلة ، وإنما هى حضارة منقولة عن الغرب » ـ

وعلى الرغم من هذا الذى كتبه وأنه لم يعترض عليه ولم يفنده ويثبت الحق الذى يؤمن به على حد زعمه ..

إلاّ أنه مع ذلك يضيف :

«حقاً إننى واحد من أشد المعارضين والمعترضين على كتاب الدكتور لويس عوض . وعلى آرائه التى يطرحها فى هذا الكتاب عن اللغة العربية ، ولكننى لا أفهم ولا أوافق أبداً على مصادرة الكتاب» ـ وقد جاءت أقوال له كثيرة على هذه الشاكلة . وكلها مسطورة فى مقاله .[1]

ونحن تكفينا شهادته وحكمه على الكتاب .

«وشهد شاهد من أهلها» ـ

والقارىء قد يندهش من هذا التناقض ! ! .. ولكن إذا عرف السبب بطل العجب شخص يتحمس تحمساً شديداً لنشر خطأٍ يراه واضحاً أمامه وهو من أشد المعترضين عليه ـ ماسر ذلك ؟!

إنهما معاً على خط واحد ..

ثم هو يغالط فوق ما مضى ويقيس قياسا خاطئاً على قصيدة نزار

---

(١) أنظر المقال فى النهاية .

القبانى .. والمتنبى وكافور .. إلى آخره .

متناسياً الخلاف فى الحالتين فالشاعر يعبر عن مشاعر ناسٍ .

أما كتاب صاحبه فهو بشهادته مرفوض جملة وتفصيلاً لأنه ضد العلم وضد العقل وضد ما عليه معتقدات الناس وجوهر عقيدتهم .

وكل ما جاء فى كتاب صاحبه عوار وكان عليه أن يستر عيبه لا أن ينشر عواره على الملأ ـ وكما يقولون : «رب ضارة نافعة» ـ

ومع ذلك فقد عرضنا رأيه كما هو اللهم إلا من إضافة بعض هوامش فى القليل والنزر اليسير تبصر القارئ بحقيقة المكتوب ... وفوق ذلك فالكتاب اليوم متداول ولا يمنعه أحد ... ولكن لنا أن نسأل سؤالاً :

هل يستطيع مثلاً شخص ما أن يكتب كتابا يهاجم فيه المبادىء التى أقيم عليها نظام ما فى دولة ما من دول العالم وينشره بينهم .. وعلى ملأ منهم معبراً فيه عن آرائه وينتظر من يناقشه من ذوى الكفاءات العالية منهم على نحو ما يطلب ذلك منا ؟!

هل يستطيع مثلاً أن ينشر كتابا ضد النظام الشيوعى فى روسيا ويعبر فيه عن آرائه وعما عليه هذا النظام من باطل وبهتان ؟!

أو هل يستطيع مثلاً أن يكتب كتاباً أو حتى مقالا يعبر فيه عن وجهة نظره الحقة فى الكيان الصهيونى المغتصب وفى دولة اسرائيل العنصرية العدوانية وينشره عندم.. ثم ينتظر من يناقشه من ذوى الكفاءات العالية... هنا أو هناك؟! على نحو مايقترح علينا..؟!

إذن فليفعل ... ونحن منتظرون ..

هذا لا يمكن أن يحدث ..

ولا يوجد مثل هذا إلاّ فى مقابلة الفكر الاسلامى فقط فالإسلام دين متين أقيم على دعائم لا يستطيع أحد أن ينال منها لأنها الحق وجاءت من لدن الحق فهو يزداد قوة بأقوال أعدائه على مر الدهور . والله فى كتابه الكريم أتى بما يقوله أعداؤه .. ولم يحدث منه أو به ما يضر الإسلام وإنما على العكس فضح زيفهم .

ونحن نعرض ما يقوله الأعداء غير خائفين لأننا على يقين من أن نور الحق يبدد دياجير الظلام ويجعل أصحاب الباطل يتوارون من القوم بسوء ما يحملون .

وكذلك نشرنا التحقيق الصحفى الذى جاء فى مجلة المصور[١] تحت عنوان : كتاب أمام القضاء ـ على الرغم من أنه تحقيق منحاز وأن المحققين قدما بمقدمة مفادها « يكاد المريب أن يقول خذونى » ـ إلاّ أنه على الرغم من ذلك يوجد بين سطوره ما يفضح الزيف وينير وجه الحقيقة ..

وقد التقيت بالأستاذ يوسف القعيد صاحب التحقيق بدار الهلال حيث تصدر مجلة المصور القاهرية ـ وتحدثت معه وأبديت له اعتراضى على ما جاء فى التحقيق ـ وانضم لنا الأستاذ مكرم محمد أحمد ـ رئيس مجلس الإدارة ـ ورئيس التحرير ـ وكان حديثا خاطفاً سريعاً ـ وأبديا رغبتهما فى أن أقدم مقالا أودع فيه وجهات نظرى وأنهما على استعداد لنشره فى العدد التالى مباشرة ..

---

(١) عدد (٣٠٠٤) الصادر فى ١٣ من رجب سنة ١٤٠٢هـ/الموافق ٧ من مايو ١٩٨٢م .

وقدمت المقال ــ وكان تحت عنوان «الحياد امنحاز» وأوضحت فيه أن المصور فى تحقيقه هذا ليس محايداً ــ وانما هو منحاز لدكتور لويس عوض انحيازاً سافراً ضاعت معه الحقائق . وأن الهدف من هذا التحقيق تضليل الرأى العام والدفاع عن الدكتور لويس عوض بمختلف الوسائل بما فيها إخفاء الحقائق فى بعض الحالات وعرضها بطريقة ناقصة فى حالات أخرى .. على نحو ما هو واضح من التحقيق لمن يقرؤه فى أناة[1] .

وقدمت المقال وقلت فى نفسى هذا هو المحك الذى يكشف عن حقيقة النوايا فإن كان هناك حياد حق وتبصير الرأى العام بالحقيقة والبحث عنها كما يزعمون فسوف ينشر .. وكنت واثقاً أنه لن ينشر وقد كان . فالهدف واضح ــ والتحقيق أمام القارىء .. انحياز ومحاولة للى عنق الحقائق بوسائل مختلفة .. وهذا أيضاً لا يهم ..

وعلى كل فالدكتور لويس عوض صار أمره الآن مفضوحاً فمنذ أمد ليس بالبعيد والصحافة العربية على الساحة كلها ما بين صحف يومية ودورية حيث بقيت مدة طويلة مشغولة بقضية أثارها هناك بعيداً فى لندن حيث نشر سلسلة من المقالات تحت عنوان «الإيرانى الغامض فى مصر» يحمل فيها على جمال الدين الأفغانى حملة مسمومة قابلتها الأوساط العربية المستنيرة بالرفض والتفنيد وردتها إلى حقيقتها فهى حلقة فى مخطط كبير تقف من خلفه الصليبية الاستعمارية والصهيونية العالمية ..

---

(١) جاء ذكر التحقيق على ما هو عليه غير أننا ذكرنا بعض تعليقات هامشية قليلة تبصر القارئ بحقيقة المكتوب .

... ومع ذلك فنحن فى هذه الأيام نطالع فى صحف مصر قضية أخرى أثارها الدكتور لويس عوض «عن العلمانية .. ومصر الإسلامية» .. أراد أن يصور لقرائه أن كل مشاريع نهضة مصر الحديثة كانت علمانية وأن قوة دفعها جاءت من تخليها عن قوانين الإسلام ـ وأنها اكتملت تحت قيادة الحكام المصلحيين الذين أدخلوا قوانين نابليون فى مصر فى الستينات من القرن التاسع عشر. وأن علمنة القوانين المصرية قد تلقت مدها الكامل عندما أدخل الخديوى إسماعيل قانون نابليون بوصفه النظام القضائى الرسمى فى مصر.. وقد تصدى لتفنيد كل هذا متخصصون مخلصون[(١)] .

أما ما يتصل بشأن هذه المقالات التى ننشرها والخاصة بكتابه «مقدمة فى فقه اللغة العربية» .

فقد ضممنا فيها الإلف إلى إلفه ووضعنا مكان العناوين أرقاماً ـ ولكننا فى الحواشى ذكرنا العنوان الذى جاءت عليه المقالة وتاريخ النشر بخط دقيق لتكون الحقائق واضحة أمام القارىء لا سيما إذا لم يكن قد طالعها فى حينها . وجاء الهدف من ذكر الأرقام مكان العناوين حتى يكون القارىء بمنأى عن بعض الإثارة التى قد يقال أن النشر الصحفى يطلبها اللهم إلا ما كان من ذكر ما يوضح الموضوع وما دار حوله ، فهدفنا فقط أن نبصر القارىء بحقيقة ما جاء فى هذا الكتاب ليكون على بينة منه ـ ويأخذ حذره عند

(١) أقرأ أعداد مختلفة من صحيفة الأهرام القاهرية فى شهر أبريل ١٩٨٥ ـ وآخرها فى هذه الأيام عدد ١٦/٤/١٩٨٥م ص ١١ حيث يتصدى لتفنيد كل مزاعمه بمنهج علمى مدروس د. محمد عمارة .

قراءته .. ويكون على بصيرة بما يقدمه له اعداؤه وما يكيده له الكائدون .

وقد قسمت عدة أقسام فجاء فى القسم الأول (١) ذلك الذى جاء بعد المقدمة والتقديم مباشرة ـ القضايا العامة التى تؤكد أن ما جاء فى كتابه «مقدمة فى فقه اللغة العربية» قضايا لا صلة لها بفقه اللغة وإنما كان الهدف من اختيار هذا العنوان أن يكون بمثابة غلاف يخفى المقاصد السيئة أو قل هو الدسم أو العسل الذى يخفى بين طياته ما يقدم من سم ..

فالمقالة رقم (١) بينت كذب الدعوى التى يدعيها بأن هناك خلافاً بين علماء المسلمين على إعجاز القرآن ـ ثم أنظر كيف هو يعرض دعواه حيث يقول : «واتفق أكثر الفريقيين على إعجاز القرآن ولكنهم اختلفوا على أركان هذا الإعجاز وأسبابه» .

وكلمة أكثر هنا هى المغالطة فكل العلماء متفق على إعجاز القرآن ـ كما عالجت هذه المقالة أيضاً دعواه بأن الحكومة الاسلامية حكومة ثيوقراطية ـ ودعواه بأن فترة حكم بنى أمية فترة استعمار عربى ـ

ودعواه بأن الرسول ﷺ أفقر اسباط قريش وأقلهم عزة وجاها ـ وغير ذلك من دعاوى أخرى متعددة عن إعجاز القرآن .

ومثلها المقالة رقم (٢) التى عرضت لآرائه حول إعجاز القرآن الكريم وما يتصل به . كذلك عالجت المقالة رقم (٣) دعواه بأن علماء العربية يقفون موقفاً مشابها للآرية الأوروبية والعنصرية النازية ـ

أما القسم الثانى (٢) .

فقد ناقش الادعاءات التى يدعيها حول إعجاز القرآن الكريم . فالمقالة رقم (٤) ناقشت أكاذيبه حول أن معجزة القرآن الكريم اسطورة ووهم أو خرافة وأن أناساً من البشر أتوا بمثل القرآن وأنهم أخفوا ما جاءوا به حتى تظل الأسطورة حول تلك المعجزة قائمة حتى يظل العنصر العربى يتمتع بامتيازاته نتيجة لامتياز لغته بسبب إعجاز القرآن ... إلى آخر الأكاذيب التى لا سند لها وإنما يفرزها صدر منغول بالحقد .

والمقالة رقم (٥) فندت مزاعمه عن الصلة التى ادعاها بين إعاز القرآن والسيطرة على الشعوب عربية أو غير عربية وعن الصراع الذى يدعيه بين العرب والشعوب التى حكمها العرب باسم الإسلام وأنه قد اتخذ أقنعة أيديولوجية متعددة كالخلاف على أصول الحكم والخلاف على شرعية الإمام والخلاف على الحق الطبيعى والحق الإلهى إلى آخر ادعاءاته ومزاعمه التى فندتها هذه المقالة وبينت كذب ما يدعيه على علماء المسلمين من أقوال لم يقولوها ..

والقسم الثالث (٣)

اشتمل على المقالتين (٧) ـ و (٨)

وبين بالمناقشة الموضوعية والتحليل العلمى أن ما ادعاه من أقوال على الشيخ عبدالقاهر الجرجانى ـ والقاضى عبدالجبار . والشيخ أبى الهاشم الجبائى مما يتصل باعجاز القرآن ولغته تقوّل منه عليهم لم يثبت أمام منهج البحث والمناقشة منه شىء .

والقسم الرابع (٤)

مقالة (٩) ـ ومقالة (١٠)

ويناقش أمورًا تتصل بالعقيدة منها ما يتصل بأكاذيب عن نزول القرآن أو الوحى على آل البيت ـ وقوله من أن (آل البيت وحدهم كانوا وعاء الوحى الالهى ـ)

ودعاوى أخرى باطلة حول العقيدة من نحو قولة : أن علماء المسلمين قالوا باتخاذ إلهين اثنين ـ وبترجمة القرآن وأشياء أخرى باطلة .

والقسم الخامس (٥)

مقالة (١١) ـ ومقالة (١٢)

وناقش فى هذا الفصل أقواله حول لغة القرآن ـ وبيان أن لغة القرآن هى معيار الصحة والفصاحة بالبحث العلمى والدراسة اللغوية الدقيقة ـ وليس كما يزعم من أن انتصار الإسلام هو الذى جعل العلماء يسيرون فى ركاب القوة ويقولون إن لغة العرب هى أفضل اللغات إلى آخر ما قاله ـ

وفى القسم السادس (٦)

مقالة (١٣) ومقالة (١٤)

ناقش هذا القسم دعواه حول أصل اللغة العربية وحول أصل الجنس العربى وفند أقواله حول أن الجنس العربى جنس قوقازى ـ وأن اللغة العربية من أصل هندى أوربى إلى آخر ما جاء من دعاوى

باطلة عن العرب واللغة العربية وعن الحضارة العربية ... الخ .

وفى القسم السابع (٧)

جاءت الملاحق - وتنقسم قسمين

الأول جاء فيه الجزء الخاص بهذه القضية من مقال الأستاذ رجاء النقاش فى مجلة الدوحة . معلقا عليه ببعض الهوامش .

كما جاء فيه أيضاً التحقيق الصحفى الذى أجراه المصور حول مصادرة كتاب مقدمة فى فقه اللغة العربية والذى جاء تحت عنوان كتاب أمام القضاء . معلقا عليه كذلك ببعض الهوامش

وفى القسم الثانى من الملاحق :

جاء ردنا على مقالة لغتنا الجميلة - ليست لغة الضاد حيث جاء فى نهايته دعوة إلى أن الثقافة اللغوية العربية العامة فى خطر - وأن اللغة العربية فى خطر ويجب على المحبين لها أن يعملوا على تدارك ذلك بأن يسيروا فى مسارين .

أولها يأخذ اتجاهه نحو تعميق الثقافة اللغوية فهو مسار بعث لغوى نظرى واتجاه آخر تطبيق وذلك بالعودة إلى النطق العربى السليم حفاظا على العربية لغة القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

والحمد لله رب العالمين ..

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمــة

يتضمن هذا الكتاب سلسلة المقالات التى صدرت تباعاً فى مجلة : «الإذاعة والتليفزيون» . المصرية ردّاً على ما جاء فى كتاب : «الدكتور لويس عوض» «مقدمة فى فقه اللغة العربية» .. من مزاعم ضد القرآن الكريم ، واللغة العربية ؛ والجنس العربى ... إلى آخر ما جاء فى كتابه مما ناقشتُهُ فى المقالات ..

ولأن الكتاب تتداوله الآن كثير من الأيدى فى البلدان العربية ؛ ولأنه يعرض آراء فيه عرضاً يبهر القارىء السريع ؛ ولأنّ المبتدىء فى العلم يأخذ ما فيه مأخذ الحقائق الصحيحة المسلم بها ؛ لذا فقد كان الرأى وضع هذه المقالات بين يدى القارىء تنير له الطريق ؛ وتبصره بحقيقة ما جاء فيه ، وما يحاك له من مكائد ضد معتقداته ، وما عليه أمر دينه ..

والحق أننى تلقفت الكتاب أول ما صدر فى شوق ؛ وكم كان الإنسان يتمنى أن يطالع كتاباً خالصاً للعلم مبرءاً من الحقد ؛ غير أنى ما كدت أتمعن ما جاء فيه حتى وجدته سموماً تزرع ، وأضاليل وأباطيل تحاك ضد الإسلام وضد كتابه الكريم ، وضد اللغة العربية ؛ والجنس العربى ...

وصَنعَ الكتاب فى دهاء ، وَوْضِعَ فى روية وَحِنْكَة فتنفذ سمومه إلى عقل القارىء ، وهو فى شغل بما يلهيه به من آراء وأقوال متشابكة متنوعة .. .. .. وقد يدهشك أنه لا صلة لها باللغة ولا يفقهها لا من بعيد ولا من قريب ...

ومن الأمثلة على ذلك ؛ تطالع مثلاً قوله :

«لأن آل البيت وحدهم كانوا وعاء الوحى بالاختيار الإلهى لصفات خاصة فيهم ، وهذا ما لا يمكن أن يقال فى أشراف قريش ، ولا فى العرب بعامة ممن حاربوا الرسول ، وآذوا آل بيته ، ولو كان لهم ما أرادوا ما كان هناك إسلام ولا مسلمون» .. ..

فانظر كيف شغل القارىء بفكرة تحدث فى جانب منها عن إيذاء آل بيت الرسول ؛ وزرع على حين غفلة منه أن : «آل البيت وحدهم كانوا وعاء الوحى بالاختيار الإلهى لصفات خاصة فيهم» ..

ويكفيه أن يستقر اليوم أو غداً فى عقل قارىء ما أيّاً كان ولا سيما إذا كان من المبتدئين أن آل البيت كانوا وعاء الوحى الإلهى ؛ وأن الوحى كان يتنزل عليهم ... وفى هذا ما يهدم عقيدة الإسلام .. فلم يتنزل الوحى على غير رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

وعلى سبيل التمثيل أيضاً يطالعك قوله :

إن علماء المسلمين قالوا باتخاذ إلهين اثنين على غرار ما قاله علماء النصارى «آلهتنا ثلاثة» .. .. ويكفى أن يتسرب مثل هذا الفهم على النحو الذى عرضه عليه فى دهاء وحنكة .. .. فيهدم مبدأ الوحدانية عصب رسالة الإسلام ..

وقد تطالع كذلك قوله :

«أما مدرسة العروبة فقد كانت دعائمها الأساسية هى تفسير إعجاز القرآن بما يعطى قداسة خاصة أو شرفاً خاصاً للغة العربية التى نزل بها القرآن ؛ وبالتالى يسبغ على العرب أصحاب هذه اللغة امتيازا خاصاً أو سيادة خاصة بين كافة المسلمين تؤهل العرب دون غيرهم لحكم العالم الإسلامى ، وتحفظ الخلافة والرئاسة والادارة وكل المناصب الفعالة فى أيدى العرب أولاً ثم فى أيدى المستعمرين بالدرجة الثانية» ..

أنظر كيف جعل إعجاز القرآن قضية سياسية .. .. الهدف منها ؛ السلطة والحكم ومناصب الدولة الفعالة .. .. وإذا كان القارىء شاباً غض العقل فإنه يبتلع هذا السم ؛ وهو بصدد استيعاب قضية متشابكة ؛ خيوطها معقدة متداخلة على هذا النحو :

مدرسة عروبة .. ..

مدرسة اسلام .. ..

مدرسة العروبة دعائمها الأساسية تفسير إعجاز القرآن بما يعطى اللغة العربية قداسة .. .. ومما يسبع على العرب أصحاب اللغة العربية امتيازاً خاصاً أو سيادة خاصة بين كافة المسلمين .. تؤهل العرب (فقط) دون غيرهم لحكم العالم الإسلامى ... وتحفظ الخلافة والرئاسة ، والإدارة ، وكل المناصب الفعالة فى أيدى العرب .. .. إلى آخر ما ابتكره من مخترعات حول إعجاز القرآن مما لا علاقة له به ؛ وغابت حقيقة أساسية .. ثابتة .. ..

وهى أن القرآن معجزة فى ذاته .. ..

وأنه معجزة الرسول الخالدة إلى يوم القيامة .. ..

ويجد القارىء فى موضع آخر أنه يحاول أن يدخل فى الروع أن معجزة القرآن أسطورة وخرافة ، وأن خلافات دارت من حولها بين العلماء .. .. وأن أناسا من البشر أتوا بمثل القرآن . .. وأنهم اخفوا ما جاءوا به عن أعين الناس حتى تظل الاسطورة حول تلك المعجزة قائمة .. وحتى يظل العنصر العربى يتمتع بامتيازاته نتيجة لامتيازات لغته بسبب إعجاز القرآن .. .. ثم يقول : ولكن الناس على الرغم من كل هذا عرفوا هذه الحقيقة ، وتحدثوا فى أمرها .. .. وأن للعلماء فى هذا المجال خلافات ..

وأنظر معى ما تصنعه مثل هذه الأباطيل فى عقول غضة لا سيما وأن الكتاب تتداوله مكتبات وجامعات العالم العربى والإسلامى ..

وانظر وأنت يطالعك أيضاً ما يقوله فى كتابه : من أن الذى فرض على علماء اللغة من المسلمين أن يقولوا : إن لغة القرآن معيار الصحة والفصاحة هو السيف ، وأن منهجهم كان يسير فى ركاب القوة ؛ وأن انتصار الإسلام ، وسيادة بنى قريش ولهجتهم ونزول القرآن بلغة قريش فرض عليهم أن يقولوا : إن لغة قريش هى أرقى لغات العرب ؛ كما أنه جعلهم يتخذونها معيار الصحة والفصاحة ؛ وكذلك انتصار الإسلام جعلهم يقولون : إن لغة العرب هى أفضل اللغات .. وإن لغة العرب توقيف ...

ويطالعك فى موضع آخر : انه ليست للغة العربية ولا للعرب حضارة ، ولا عراقة : وأن من يقل بذلك فهو فى نظره ينسب إلى

العرب وإلى لغتهم عراقة ليست لهم ولا لها بين الحضارات القديمة .. ..

ثم هو يقيم كتابه على أساس أن اللغة العربية لغة قوقازية .. .. وأن الجنس العربى جنس قوقازى ..

وهكذا يدور كتابه كله حول مخالفات لما عليه أمر العلم ولما استقر فى عرف العلماء مما له صلة باللغة العربية وأصلها ، والجنس العربى واصله .. .. إلى آخره .. .. وهكذا تطالعك أمور كثيرة ، ومزاعم متعددة ، وأحقاد ، وسموم ثبت فى طول وعرض كتاب يحمل عنوان .. «فقه اللغة العربية» تتداوله أيدى شباب الأمة العربية والإسلامية .. ليهدم القواعد التى أقيم عليها دينها .. وغايته أن يحل الخطأ محل الصواب والباطل محل الحق ..

وقد عالجت المقالات داخل هذا الكتاب موضوعات متعددة على نحو ما هو واضح .. .. حيث أفردت كل مقالة لأكثر من جانب من جوانب تلك القضايا .. .. المتنوعة المتعددة .. التى تدور كلها فى فلك العقيدة ، والإسلام ، ولغة القرآن وإعجازه حقاً بقيت قضايا لها أهميتها فى حاجة إلى مناقشة وعلاج .. .. وهى وإن كان أمرها من الناحية العلمية خطيرًا إلاّ أنها تمس جانب العقيدة فى كثير من الحالات مسًا غير مباشر .. .. وهى تتصل بتحليلات لغوية على مختلف المستويات سواء الفونا طبيقى .. أو البنائى .. أو الدلالى .. .. كما أن منها ما يتصل بالمنهج اللغوى التاريخى .. ومنها ما يتصل بالمنهج اللغوى المقارن .. .. وهكذا .. .. ولكن الذى نقدمه اليوم المقالات التى نشرناها وكان لها دورها على الساحة الفكرية فى

مصر وتخص هذا الجانب الهام وسوف تتضمن طبعة أخرى قادمة من هذا الكتاب الجانب الثانى وهو جانب التحليلات اللغوية الخاصة بتلك النواحى إن شاء الله تعالى .. ..

وقد جاء عنوان هذا الكتاب على نحو ما هو واضح .. وذلك لأن معظم القضايا التى عالجتها هذه المقالات تدور حول لغة القرآن وإعجازه وما أثير بخصوصها على نحو ما أوضحنا ، وعلى نحو ما يتبينه القارىء .

ثم أتينا فى النهاية بمقال آخر لنا نشرته مجلة الاذاعة والتلفزيون المصرية أيضاً فى عددها **٢٤٥٣** بتاريخ **٢٤** جمادى الأولى **١٤٠٢**هـ ، **٢٠** مارس **١٩٨٢**م ص **٤٩** .

قد جاء رداً على مقال فى جريدة الأخبار القاهرية تحت عنوان : «لغتنا الجميلة ليست لغة الضاد» نبهنا فى نهايته إلى أن الثقافة اللغوية العامة فى حاجة إلى بعث ، وأن اللغة العربية أمام خطر يتهددها وأنه يجب أن تكون هناك ثورة لغوية ثقافية عامة تأخذ فى اعتبارها اتجاهين احدهما اتجاه يضع فى اعتباره توسيع دائرة الثقافة اللغوية وتعميقها لأن هناك ما يشبه الأمية فى هذا المجال .. ..

والآخر تطبيقى يضع فى اعتباره أيضاً العودة إلى النطق اللغوى العربى السليم ، وذلك بتطبيق نطق الحروف ومعرفة خصائصها معرفة علمية عملية تطبيقية سليمة ويكون ذلك منذ بداية العملية التعليمية على أن يوضع فى الاعتبار عملية النهوض باللغة العربية من كل جوانبها ؛ وما يتصل بها من ثقافة عامة ، خاصة بالقرآن والعقيدة

الاسلامية ومفاهيمها الأساسية ، فالعربية وعاء القرآن منهج الاسلام والحياة .. والله ولى التوفيق .

دكتور البدراوى عبدالوهاب زهران

مكة المكرمة فى ربيع الأول ١٤٠٦هـ

الفصــــل الأول

أباطيل ومغالطات عامة حول اعجاز القرآن الكريم ـ وحول نظام الحكم فى الاسلام ـ وحول موقف السلف من علماء المسلمين رضوان الله عليهم ـ من هذه القضايا .



أين هو فقه اللغة [1]

أمر عجيب ! !

كتاب يحمل عنوان «فقه اللغة» مُسَخَّر لادعاءات باطلة لا صلة لها بفقه اللغة .

كتاب الدكتور لويس عوض الذى صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتا ويحمل عنوان «مقدمة فى فقه اللغة العربية» يعرض قضايا متعددة أبعد ما تكون عن فقه اللغة . بل عن العلم .. والحق ..

وهذا الكتاب قد يعجب قارئه بما فيه من ثراء فى المعلومات . وجرأة فى وضع أبعاد نظرية لغوية عجيبة .

ولكنه قد ملأ نفسى حيرة فى أمر صاحبه بما تعرض له من قضايا لا علاقة لها بدراسة اللغة على أى مستوى من مستويات دراساتها ولا علاقة له بأى نظرية فى فقه اللغة ـ اللهم إلاّ أن تكون تلك الدعاوى قد دسها عن عمد وبسوء قصد . ودفعته إليها أيضاً هنا

---

(١) نشرت فى ٢٨ فبراير ١٩٨١م فى مجلة الأذاعة والتلفزيون المصرية ونشرت فى نفس الحين فى مجلة الثقافة ـ القاهرية تحت عنوان .. (ولكن أين هو فقه اللغة) .

الجرأة . ولكنها الجرأة على الحق فإن حمدت فى الأولى رفضت فى الثانية .

وقد خصص الكتاب كله لمغالطات علمية ولا سيما الفصل الثانى من ص ٩٥/٥١ حيث خصص لدعاوى لا علاقة لها بدراسة اللغة ولا صلة لها بفقهها ، وهى دعاوى متعددة ومتنوعة ، وكل واحدة منها فى حاجة إلى مقال خاص بها تناقش من خلاله غير أننى أدع هذا الأمر الآن فلى معه موقف قد يطول واكتنى بأن اقتطف من الكتاب بعض الدعاوى ولى أن أقول الأباطيل وأضعها بنصها وبجانبها بعض ملاحظات لى عليها على أمل أن أجد الجواب عليها وإن كان السؤال فى أكثر الحالات يغنى عن الجواب .

يقول ص ٥٣ «واتفق أكثر الفريقين على إعجاز القرآن ولكنهم اختلفوا على أركان هذا الإعجاز وأسبابه»

وفى هذا القول كلمة مرفوضة وهى كلمة «أكثر» فهى مغالطة فالكل متفق على إعجاز القرآن وأنا وأنت وكلنا محجوج بهذا الإعجاز ـ فإعجاز القرآن به وفيه باقٍ إلى يوم القيامة وإلاّ فادع من استطعت من دون الله وأت بمثله .

وأسألك أين علاقة فقه اللغة بتلك القضية ؟!

وفى ص ٥٤ تقول : «إن أصول الحكم فى الإسلام ترتكز على الثيوقراطية أى على الحكومة الدينية» .

وأعلم يقينا أنك تعلم تماما الفرق الكبير بين الحكومة الثيوقراطية حكومة رجال الكهنوت والدين فى أوربا فى عصور الظلمة الذين لا يسألون عما يفعلون ـ وأصول الحكم فى الإسلام الذى يستمد من

كتاب الله والأمر فيه شورى ومن حق المحكوم مراجعة الحاكم وتقويم عوجه .

وأسألك أيضاً ما علاقة هذه القضية بفقه اللغة ؟!

وفى ص ٥٤ أيضاً تقول :

«أما سواد الأعاجم أو أبناء الأمصار المفتوحة الذين دخلوا الإسلام ولم يستعربوا فهم أمة الإسلام التى يجب أن تسلم أمرها إلى العارفين بشئون دينها من العرب ثم المستعربين»

وأسألك : وما حكم السواد فى الغرب ؟

وأليس السواد فى كل الأمم هكذا ؟

وأعلم أنك من العارفين بقصة أخطأ عمر وأصابت امرأة أوليست تلك المرأة من السواد ؟

وأسأل أيضاً ما علاقة فقه اللغة بتلك القضية ؟!

وتقول فى ص ٦١ :

«ولو كنا نستخدم لغة العصر الحديث لقلنا أن الخوارج والشيعة وسائر الدعوات التى تجمع تحت ألويتها مسلمو الأمصار المفتوحة كانت تنظر إلى حكم بنى أمية على أنه فترة الاستعمار العربى» .

نعم أنت تريد أن تصل إلى تلك الكلمة إذن فقلها وقف عندها ولا تَدُرْ حولها بتقديم أو تبرير .

وأسألك وأنت تعلم ما للعرب من فضل على أهل الأمصار المفتوحة جميعاً سواء منهم من أسلم أو من بقى على دينه فى تخليصهم من ظلم طواغيت آنذاك واحتمائهم بعدالة الله ـ وأسأل هل دخول الأمم فى دين الله أفواجا إيمانا به واحتماء فيه استعمار عربى مثل

الاستعمار الغربى أو الشرقى الذى نعرفه ؟!

وأخيراً ما علاقة فقه اللغة بتلك القضية .

وفى ص ٦١ تقول :

«وحصر حق الملك فى آل بيت رسول الله وحده ، وهو من أفقر أسباط قريش وأقلهم عزة وجاهاً» .

وكيف عرفت أن الرسول ﷺ أقل قريش عزةً وجاهاً ؟ وأسأل ماذا تعنى بالعزة والجاه ؟

هل العزة غير العزة التى وصفها الله بقوله :

﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾

حقاً لهذه علاقة بمعرفة اللغة وفقهها .. ولكن الحقد يعمى ..

ولكن ما علاقة تلك القضية كلها بنظرية فقه اللغة التى توصلت إليها ؟! أو بغيرها من نظريات فى فقه اللغة .

وفى ص ٦٢ تقول :

«وكانت حلقة الارتباط هى الإسلام . ولكنه لم يكن ذلك الإسلام القديم بل نوعاً جديداً من الدين» ..

وأقول وأنت تعلم أن الإسلام هو الإسلام وليس هناك إسلام قديم وإسلام جديد ..

﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾

وأسأل وأين صلة فقه اللغة بتلك القضية ؟!

وتقول فى ص ٦٤

«وبذلك نقلوا فكرة إعجاز القرآن إلى فكرة إعجاز اللغة

العربية ، وبالقياس على هذا يستخلص ضمناً وصراحة أن الله تخير لحمل آخر رسالاته نبياً عربياً لأن العرب كانت خير أمة أخرجت للناس» .

وفى هذا القول خطأ فى الاستخلاص الضمنى والصريح فليس المقصود العرب . بـ ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ وإنما أمة المسلمين التى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .. ارجع إلى الآية .

وأيضاً أين هى العلاقة بين فقه اللغة وتلك القضية ؟! إذا فعنوان الكتاب جاء ستارا يغلف داخله كل ما يحمله صدر ممغول بحقد دفين على الاسلام وما يتصل به ..

أما ما جاء عن عبدالقاهر الجرجانى والتحدى عنده بإعجاز القرآن فلنا عنده لقاء آخر إن شاء الله وسوف يطول .

غير أنى فقط أنقل لك هنا نصاً ينبىء عن خطأ كبير متعمد وهو قولك :

«ونرى الجرجانى هنا يرد على تيار محدد بالذات يمثله كتاب متأخرون محددون بالذات رغم أنه لم يشر إلى أسمائهم اقترنت دعوتهم بالتشكيك فى إعجاز القرآن وفى امتياز عرب قريش فى صدر الإسلام ـ وأشارالجرجانى إلى قصة معارضة الجاحظ وسواه للقرآن ـ وسواء أكانت هذه القصة صحيحة أم كاذبة فهى تدل على أن المفكرين الشعوبيين كانوا يتخذون من «إعجاز» الجاحظ لواءً يقاتلون تحته دعاة عروبة الإسلام وهم أهل السنة وبعض كبار المعتزلة مثل الجاحظ والقاضى عبد الجبار» .

وأنا أعلم أنك تعلم أن أحدا ما لايشك فى اعجاز القرآن وأولهم

الجاحظ ، وأن قصة أن الجاحظ أتى بمعجز مثل القرآن خطأ متعمد وكذب لا قبل لأحدٍ بادعائه ولا يستطيع أحد سواء من مفكرى الشعوبيين أو غيرهم أن يقولوا إن الجاحظ أتى بما أعجز أو أتى بمثل القرآن . وبين أيدينا كتب الجاحظ تشهد بكذب تلك الدعوى .

وأنت صاحب نظرية فى فقه اللغة تنبىء عن تمكن قارن ما كتبه الجاحظ بأى نصٍ شئت من القرآن وأرنا أين هذا وأين ذاك ! !

* * *

ادعاءات حول إعجاز القرآن الكريم[1]
عَجَبٌ وَحَيْرةٌ

عَجَبٌ من

استنتاجات يحركها الهوى ولا تنزه عن الحقد وسوء القصد على حين أن المجال مجال علم . والأولى أن يكون العلم حكما ، والموضوعية منهجاً والبعد عن الأهواء الذاتية غاية ..

وحيرة بسبب ما يعرض له من قضايا لا علاقة لها باللغة ولا بفقهها ولا بأى نظرية من نظرياتها .

وموقفى اليوم هو الاكتفاء بعرض بعض الدعاوى وإن شئت فقل الأباطيل .

وفى هذه المرة أيضاً أذكر أقواله بنصها ـ وأشفعها ببعض ملاحظات لى عليها . على أمل اللقاء الطويل ..

فإن الوقفات الطويلة لم يحن حينها ..

وسوف تكون حول جوه النظرية ومضمونها .. تلك النظرية

---

(١) شر فى ٨ جمادى الأولى ١٤٠١هـ/١٤ مارس ١٩٨١م تحت عنوان حول إعجاز القرآن الكريم وما جاء بخصوصه من آراء خاصة بالدكتور لويس عوض .

التى أقيمت على الهوى .. ولا أساس لها من علم ولا عقل ..

ولنجعل بداية اللقاءات تدور حول الجزئيات . وما أكثرها ! !

جاء فى ص ٥٤ نص قولك الآتى :

«أما مدرسة العروبة فقد كانت دعائمها الأساسية هى تفسير إعجاز القرآن بما يعطى قداسة خاصة أو شرفاً خاصا للغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم ، وبالتالى يسبغ على العرب أصحاب هذه اللغة امتيازاً خاصا أو سيادة خاصة بين كافة المسلمين تؤهل العرب دون غيرهم لحكم العالم الإسلامى وتحفظ الخلافة والرئاسة والإدارة وكل المناصب الفعالة فى أيدى العرب أولاً ثم فى أيدى المستعمرين بالدرجة الثانية» ..

وأسألك وأنت تعلم أن مقدماتك التى أتيت بها لا توصل إلى نتائجك التى انتهيت إليها .. وأن الطريق بين المقدمة والنتيجة محشو بالمغالطات .

أسأل : ما علاقة إعجاز القرآن الكريم بامتياز العنصر العربى ؟

وكيف أعطى إعجاز القرآن للعرب حق السيادة الخاصة والامتياز الخاص ؟

أنسيت أن معنى إعجاز القرآن أنه أعجز العرب عن الإتيان بمثله وتلك قضية عليهم وليست لهم ؟ !

وهل يعقل أن يغيب عن بال عالم باحث فى اللغات صاحب نظرية فى فقه اللغة ؟ انه لا علاقة بين قضية أفضل اللغات وعلة التفضيل والتشريف وإعجاز القرآن .

وانه لا علاقة بينها بالمرة وبين جعل الخلافة والرئاسة والإدارة

وكل المناصب الفعالة فى أيدى العرب أولاً ثم المستعربين بالدرجة الثانية .

والا لَحُقَّ لكل من قال بشرف لغته هذا الحق .

وأسألك : ألم يزعم الأرمن أن لغتهم صاحبة الشرف وأن اللغات الأخرى فرع عليها لأن الله تعالى على حسب زعمهم جبل آدم من تربتهم وأنه درج فى أرضهم وأنهم هم ورثة لغته ؟!

وألم يخص العبريون لغتهم بميزات دون سائر لغات العالم على نحو ما قالوا إنها لغة الإنسانية الأولى وأن منها اتشعبت لغات العالم وأنها لغة لسان أهل الجنة ؟!

وألم يقل البحاثة الفرنسى بوهو Bahaure إن الفرنسيين وحدهم هم الذين يتكلمون ..

وألم يخص اليونانيون لغتهم بالمناسبة الطبيعية بين الألفاظ وإيحاءاتها ؟!

وأخيراً .. الا تعلم ما قاله عالم اللغة : ماريوباى Mario Pei من أن مدح الإنسان للغته أمر متكرر فى تاريخ الإنسان حتى يستطيع الباحث أن يكتب مجلدات حول هذا الموضوع .

وأعلم أنا وأنت أن كل تلك الدعاوى مرفوضة من وجهة نظر الدراسات اللغوية وإنها من الأمور الميتافيزيقية التى لا يوليها العلماء المحدثون أدنى اهتمام وانه لا علاقة لها بفقه اللغة .

فلماذا أقمت تلك المقدمات وبنيت تلك النتائج التى لا علاقة لها باللغة ولا بفقهها .. ثم تبنى عليها فيما بعد نتائج أشد مغالطة ! !

تقول : «وبالطبع كان هذا يتضمن أن الاسلام الصحيح فيه

طبقات غير طبقات الإيمان والتقوى والعمل الصالح وهى طبقات العرق العربى واللغة العربية» .

وحسبى أن أقول أنه يكفى أن تلك نتيجة لمقدمة خاطئة ولكننى أسألك ماذا تعنى بقولك الإسلام الصحيح !؟ هل هناك إسلام صحيح واسلام خاطىء باطل !؟! أليست تلك مغالطات مدسوسة عن عمد ؟! وتقول الإسلام الصحيح فيه طبقات غير طبقات الإيمان والتقوى .. طبقات العرق العربى .. واللغة العربية ..

وأقول إن أقَلَّ الناس علماً يعلم أنه لا فضل لعربى على عجمى .. ولا لأبيض على أحمر .. إلاَّ بالتقوى ...

إن كل ما بنيت فى هذا الصدد على أساس غير علمى فى السابق واللاحق .. ومثال ذلك قولك الذى جاء فى ص ٦٤ حيث تقول :

«كان التعبير الفلسفى عن إعجاز القرآن نظرية قدم القرآن التى تساوت فى علم الكلام بنظرية (قدم الكلمة) وملازمتها لعقل الله أو انبثاقها منه قبل الخليقة .. وبالتبعية ظهرت نظرية قدم اللغة العربية كلها حتى قال البعض إن آدم كان يتكلم العربية فى الجنة وهى النظرية التى سخر منها المعرى فى رسالة الغفران» .

وأقول إنك تخضع كل الحقائق لهواك .. كيف فسرت إعجاز القرآن هذا التفسير؟! وعقدت تلك الموازنة وانتهيت إلى كل تلك النتائج ؟!

هل علماء العربية هم وحدهم الذين قالوا بقدم العربية ؟!

ألم يقل ذلك الأرمن عن لغتهم ؟!

ألم يقل السريان والفرس عن لغتهم ؟! مثل ذلك وأكثر .. ألم

يقل به الصينيون ؟

ألم يقل العبريون أضعاف أضعافه ؟!

هل نحن فى حاجة لأن ننقل نص ما قاله الأرمن والسريان والفرس والعبريون وغيرهم .. عن أن لغتهم هى لغة الإنسانية الأولى . وأنها لغة أهل الجنة ..

طبعاً لسنا فى حاجة فمدى علمى أنك تعلمه علم اليقين ! ! كما تعلم أنه لا صلة له الآن بالدراسات اللغوية .

وأما عن قولك السابق : وهى النظرية التى سخر منها المعرى فى «رسالة الغفران» فتلك نتيجة صنعتها لنفسك على عينك .

وهاك نصك تقول ص ٥٢ :

«والمعرى طبعاً لا يقصد إلى هذا المعنى بحرفه وإنما كل ما قصد إليه هو : ما هكذا يكون البحث فى تاريخ الأديان أو تاريخ اللغات ، ففى الدنيا كتب أخرى مقدسة غير القرآن ، ولغات أخرى غير العربية»

قل إنها نتيجتك وقولك واسترح .. ولا داعى لأن تتمحك فى المعرى .. فما لهذا قصد المعرى على الرغم من أنه كان رقيق الدين مطعون العقيدة غير أنى أقول إن القرآن هو الكتاب المقدس المعجز أبد الدهر وأن معجزته به وفيه إلى يوم القيامة ..

* * *

مغالطـــات
حول ماقاله السلف من حقائق
تتصل بلغة القرآن الكريم[1]

يعرض الدكتور لويس عوض رأياً للإمام الشافعى يتسلسل فيه تسلسلاً عجيباً يبدأ بمقدمة سليمة ـ وينتهى بنتائج خاطئة لا قبل لأحد بها ولا يقرها منهج علمى ولا تفكير منطقى ـ وبين المقدمة والنتيجة تأتى المغالطات ، وإخضاع الحقائق للأهواء بمختلف الأساليب ..

ونص الإمام الشافعى كما عرضه هو بنفسه :

«إن القرآن يدل على أن ليس من كتاب الله شىء إلاّ بلسان العرب» .. والدكتور يعى هذه الحقيقة ثم يوضحها بنص قوله الآتى :

«أى أن القرآن لا يشتمل على كلمة واحدة غير عربية» ..

تلك هى المقدمة بنصها :

---

(١) نشر فى ١٥ جمادى الأولى ١٤٠١هـ/٢١ مارس ١٩٨١م تحت عنوان : « إن لم تكن قد قرأت فلتقرأ فأنا أنزهك عن الجهل » .

انظر معى إلى نص ما استنتجه الدكتور منها بالحرف الواحد قوله الآتى :

«وهذا الرأى ينقل القداسة من القرآن إلى اللغة العربية»

ثم أنظر معى إلى مابناه على هذا من استنتاج آخر إنه ينتهى إلى النتيجة الآتية وهاك نص قوله بالحرف الواحد أيضاً يقول :

«وأياً كان الأمر فإن هذا الموقف ينطوى على إحساس عميق بنجاسة كل ما هو غير عربى جنساً ولغة وهو المقابل السامى للآرية الأوربية» . وبين مقدمته تلك ونتائجه التى انتهى إليها بعد المشرقين عن المنهج العلمى وعما يوجبه من أمانة وموضوعية وعما يتطلبه الحق والمنطق ..

وأسأل الدكتور : ألِأَنَّ الإمام الشافعى قال : إن القرآن ليس فيه غير ما هو عربى تنتهى إلى أن علماء العربية عبر عصورهم يقفون موقفاً مشابهاً للآرية الأوروبية والعنصرية النازية وتقول : (وهو المقابل السامى للآرية الأوربية) ؟

أبينك وبين نفسك تصدق أن علماء العربية علماء عنصرية ؟! ! ثم تقول إنها تساوى وتقابل الآرية الأوربية والنازية العنصرية ؟! ! !

وهل الحقيقة التى رآها الشافعى وهى أن القرآن الكريم ليس فيه غير ما هو عربى يختلف من حولها لغوى واحد من لغويى العالم مهما كان موقفه مُجَافٍ للصواب أو مهما كان عدوّاً أو حاقداً ! !

القرآن بلسان عربى مبين رأى علمى موضوعى دقيق لا يختلف فيه لغويان أو كما يقولون : لا تنتطح فيه عنزان ولا ينقل هذا الرأى

قداسة القرآن إلى قداسة اللغة وهذا الرأى يقول به كل عالم من اللغويين فى العالم .

فهل إذا قال به عالم لغوى آخر سواء من الشرق أو من الغرب ؟ حكمت عليه حكميك هذين :

وقلت : إنه نقل قداسة القرآن إلى قداسة العربية ؟ ! !

ثم قلت عنه : إنه موقف ينطوى على إحساس عميق بنجاسة كل ما هو غير عربى جنساً ولغة . وهو المقابل السامى للآرية الأوربية ؟ ! !

إذن فلنتستمع أيها الدكتور وأنتظر حُكْمَك وإن لم تكن قد قرأت فلتقرأ .

وأبدأ فأسألك ألم يحاول لغويون أوربيون فى عصر النهضة الحديثة هذه أن يوجدوا روابط بين اللغة والجنس ؟ !

ألم ينشأ عن موقف اللغويين الغربيين هذا تعصب للجنس وزهو بلغته عندهم ؟ !

ألم تتخذ بعض المذاهب السياسية العنصرية فى أوربا فى العصر الحديث ذلك ذريعة لفرض سلطانها على شعوب تنتمى فى رأيها إلى أجناس أقل منها وأدنى وتقول : إنها تتكلم لغات أدنى من لغاتنا ؟ !

وعلى سبيل المثال فقط لا الحصر :

ألم ينشىء فردريك موللر Friedriek Muller كتابه :

« grandiss der sprach wissenchaft »

على أساس هذه الفكرة ـ ويصَنّفُ اللغات طبقاً للمميزات الأثنولوجية فى رأيه ـ كما أنه يرى هو وغيره من الغربيين المتعصبين

لغويين ومفكرين وساسة أن اللغات الهندواوروبية أسمى من سواها كالسامية والحامية ـ وأن الجنس الهندواوربى عندهم أو الجنس الآرى أسمى من كل أجناس الأرض .

وقد ذهب الألمان والطليان والنازيون والفاشيون دفاعاً عن نظمهم السياسية إلى أن اللغات جميعاً يجب أن تخضع أمام لغاتهم وأن تفسح لهم الطريق .. كما رأوا أن من الحق عندهم ومن الواجب فى نظرهم أن تشن الحروب على أولئك الذين يتكلمون لغات غير لغاتهم سامية أو حامية أو غيرها .. ..

إذن فما حكمك عليهم ـ وما موقفك من هؤلاء العنصريين بحق إن لم تكن سامى اللغة فأنت حامى ـ وعلى كل فالمصريون القدماء أو المحدثون حاميون أو ساميون حاميون ... تُشنّ عليهم الحروب وأنت منهم ولن تكون أبدا من غيرهم فما ردك على هؤلاء العلماء المتعصبين وما حكمك على أقوالهم .. إن لم تكن قد قرأتها فلتقرأها ولتعطنا حكمك عليها .. وإنا لمنتظرون وإن كنت قد حملت على الشافعى وهو لم يقل شيئاً غير الحق .. ترى ماذا أنت صانع وقائل لهؤلاء ؟! !

علماً بأن التيار الآرى العنصرى لا يجد من يقره بل لقد وقف ضده علماء آريون ، فمثلاً ليبنيز (Libniz) قاوم هذا التفكير البعيد عن المنهج العلمى ومارجريت شلاوس Margeret schlauch اشمأزت من هذا التفكير الخرافى فإن كنت قد حمّلت قول الشافعى كل هذا ... فإننى أرى لزاماً علىّ أن أعرضه بتمامه حتى لا يظنن ظان أن الشافعى يميل للعنصرية العرقية أو اللغوية كما زعمت :

نص ما جئت أنت به ص ٩٢

«فالواجب على العالمين أن لا يقولوا إلا من حيث علموا ، وقد تكلم فى العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الإمساك أولى به ، وأقرب من السلامة له إن شاء الله ، فقال قائل إن فى القرآن عربياً وأعجمياً ، **والقرآن يدل على أن ليس من كتاب الله شىء إلاّ بلسان العرب** ، ووجد قائل هذا القول من قبل ذلك منه تقليداً له وتركاً للمسئلة له عن حجته ومسئلة غيره ممن خالفه ، وبالتقليد أغفل من أغفل منهم والله يغفر لنا ولهم ، ولعل من قال إن فى القرآن غير لسان العرب وقُبل ذلك منه ، ذهب إلى أن من القرآن خاصاً يجهل بعضه بعض العرب ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ولانعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبى ، ولكنه لا يذهب منه شىء على عامتها ، حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه ... الخ»

هذا هو النص الذى أتيت به وأخذت منه ما وضعت أنا تحته خطا وبنيت أنت عليه نتائجك تلك وهو أمام القارىء بتمامه ـ ثم عبرت أنت عنه بنظرية النقاء اللغوى وقلت : ولعل اسطع تعبير عن نظرية التقاء اللغوى كما يسمونها (Purism) هى قول الإمام الشافعى ـ هذا .

ثم قلت فى ص ٩٤ : وهذا الرأى فى كمال اللغة العربية هو الذى تسلسل جيلاً بعد جيل حتى وجد التعبير عنه فى قصيدة حافظ إبراهيم الشهيرة عن اللغة العربية :

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن	فهل سألوا الغواص عن صدفاتى
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية	وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة	وتـــنسـيـق أسماء لمخترعــات

ورأيت أن «هذا الموقف يجمع بين عرقية الدم وعرقية اللغة وينسب إلى العرب ولغتهم عراقة ليست لهم ..»

ألِأَنَّ حافظاً ابراهيم استنهض الهمم فى إحياء اللغة العربية وقال إنها تصلح لأن تعبر عن الحياة وأن علينا أن ننهض بها تُحَمِّلُ قوله كل هذه الأمور التى لا يحتملها .

إذن فماذا أنت قائل عن كيشارد Guichard الذى حاول أن يبرز فى كتابه فكرة التناسق الصوتى فى اللغات المتفرعة عن العبرية وقد حاولوا إحياءهاوحاول معه كثير من العلماء ممن هم على شاكلته أن يجزموا بأن اللغة العبرية لغة الوحى الإلهى وهى لغة الإنسانية الأولى والتى تشعبت منها لغات العالم المعروفة كلها» ما قولك فى هذا الموقف عن عرقية اللغة وعرقية الدم ؟! ألا ينسب هؤلاء للعبرية ما ليس لها .

وأسألك هل العبرية أقدم من العربية بكثير أم العربية أقدم حتى تأتى بقول العلامة المحقق محمد شاكر وتبدى عليه تلك التعليقات وتغفل ما قاله كتشارد ومن هم على شاكلته .

وللأمانة نعرض نص العلامة المحقق محمد شاكر ونعرض تعليقك تقول : ص ٩٤ ، ٩٥ .

(ومن هذا قول العلامة المحقق محمد شاكر : «والعرب أمة من

أقدم الأمم ولغتها من أقدم اللغات وجوداً كانت قبل إبراهيم واسماعيل وقبل الكلدانية والعبرية والسريانية وغيرها ، كالفارسية ، وقد ذهب منها الشيء الكثير بذهاب مدنيتهم الأولى قبل التاريخ فلعل الألفاظ القرآنية التى يظن أن أصلها من لسان العرب ، ولا يعرف مصدر اشتقاقها ، لعلها من بعض ما فقد أصله وبقى الحرف وحدة»)

وأسألك هل جاوز العلامة محمد شاكر الحقيقة فى شىء عندما قال هذا القول حتى تقيم علاقة بين أقوال هؤلاء العلماء منذ الشافعى ومروراً بحافظ إبراهيم وانتهاءً بالعلامة المحقق محمد شاكر على الرغم من البعد بينهم فى الأزمنة والمنزع ثم تنتهى إلى تلك النتيجة ، التى انقلها بنصها كما جاءت عندك : ص ٩٥ :

(«هذا الموقف يجمع بين عرقية الدم وعرقية اللغة وينسب إلى العرب ولغتهم عراقة ليست لهم ولا لها بين الحضارات القديمة التى أثبت لنا تاريخ الشرق القديم أن بعضها ينتمى إلى الألف الثانية قبل الميلاد فما بالنا بحضارات ازدهرت فى الألف الثالثة وفى الألف الرابعة قبل الميلاد ، وأياً كان الأمر فإنّ هذا الموقف ينطوى على إحساس بنجاسة كل ما هو غير عربى جنساً ولغةً وهو المقابل السامى للآرية الأوربية»)

وأقول لك وأنت تعلم حقيقة ما أقول أن اللغويين المحدثين يرون أن هذه المباحث وأمثالها علينا أن نقصيها جانباً وننحيها بعيداً فهى لا تتعلق بالدراسات اللغوية وإنما تتعلق بدراسات فلسفية أو

ميتافيزيقية أو أسطورة خيالية .

ولذلك يجيئك سؤالى الذى بدأت به قولى معك أول ما بدأت فى المقال الأول وهو .. ولكن أين هو فقه اللغة فى كل هذا ؟؟ ..

وعموماً فمازلنا فى بداية اللقاء ـ والله مظهر الحق ـ والسلام على من اتبع الهدى ..

* * *

الفصـــل الثـــانى

يناقش أكاذيبه حول أن إعجاز القرآن وهم ـ وأن أناسا من البشر أتوا بمثل القرآن ـ إلى آخر ما ادعاه من أكاذيب ..

وحول مزاعمه عن الصلة التى ادعاها بين إعجاز القرآن والسيطرة على الشعوب ـ وبقية ما قاله من أقوال على علماء المسلمين لم يقولوها .



افتراء على العلماء ! !
... هذا ما قاله العلماء
... وهذا قولك[1] .

الدكتور لويس عوض بارع براعة ما بعدها براعة فى قلب الحقائق وفق هواه ! ! فهو يريد أن يدخل فى روع القارىء لكتابه .. أن معجزة القرآن الكريم أسطورة ووهم .. وأنها خرافة ! ! وأن خلافات كثيرة دارت من حولها بين العلماء والأدباء وغيرهم ... ! ! وأن ناسا من البشر أتوا بمثل القرآن .. ولكنهم أخفوا ما جاءوا به عن أعين الناس حتى تظل الأسطورة حول تلك المعجزة قائمة .. وحتى يظل العنصر العربى يتمتع بامتيازاته نتيجة لامتياز لغته بسبب إعجاز القرآن .. ثم يقول : ولكن الناس على الرغم من كل هذا عرفوا كل هذه الحقيقة وتحدثوا فى أمرها .. وأن للعلماء فى هذا المجال خلافات ! !

ما كل هذا ! ! إنها .. خرافات .. وهراء .. وأباطيل فى أباطيل ..

---

(١) نشرت فى ٢٢ من جمادى الأولى ١٤٠١هـ/٢٨ مارس ١٩٨١ تحت عنوان تلك أقوال العلماء وهذا قولك ! !

ولكن يجب أن تناقش :

ومناقشة تلك الدعاوى بأبعادها تستوجب أن نبدأ بعرض نص قوله الذى جاء فى ص ٧٥ حيث يقول :

«فهؤلاء الفقهاء والأدباء المتأخرون المؤكدون لامتياز العرب بعامة على كافة الأمم فى البلاغة والبيان فطرة وصناعة ، والمؤكدون لامتياز العرب فى عر ارسول على الكافة من المتأخرين لم يكونوا ـ كدون كيشوت ـ يقاتلون طواحين الهواء أو ينازلون أعداء وهميين ـ وإنما كانوا يقاتلون طبقات من المفكرين يحسب لهم حساب فى حياة عصرهم الثقافية دأبت على التهجم على العرب وعلى إعجاز القرآن ذاته»

وأسألك أولاً وعليك أن تجيب وتحدد :

○ من هم هؤلاء المثقفون الذين يحسب لهم حسابهم فى حياة عصرهم الثقافية ؟

○ ألا تعرف واحداً منهم ؟!

○ أعرف أنك لا تعرف ـ وذلك لأنه لا وجود لأحد على الإطلاق ..

لأن الحقيقة : أن هذا هو منهج التفكير والمناقشة فى ذلك الحين .

وهو أن يفترض العالم أن معترضاً ما قد يعترض .. ويأتى العالم بكل ما يمكن أن يكون من اعتراضات ..

ثم يناقشتها ويبطلها بالحجج المنطقية والدليل العقلى والعلمى ..

وأظنك تعرف أن هذا هو منهج الكتابة العلمية فى ذلك العصر..

إن لم تكن تعرفه فاعرفه ..

وبناءً على ذلك : أحذف كل ما بنيت عليه من استنتاجات ..

فهى إن للم تكن خطأً فإنها فى أقل اعتباراتها مغالطة ..

ثم أقول لك : إن ما قلته عن هؤلاء الفقهاء والأدباء المتأخرين المؤكدين لامتياز العرب بعامة على كافة الأمم فى البلاغة والبيان فطرة وصناعة ، والمؤكدين لامتياز العرب فى عصر الرسول .. لا وجود لهم اطلاقاً إلاّ فى مخيلتك أنت أيضاً .

وتدهشنى حقاً براعتك تلك الفائقة فى صنع أشياء لا وجود لها.

أيها الدكتور القضية جاءت استطراداً طبيعياً من العلماء وهم يتدارسون إعجاز القرآن .. وتبين لهم أن العربى المقتدر على اللغة عجز عن الإتيان بمثل القرآن فرتبوا على ذلك حجز غيره نهذا أُمر طبيحى .. فإكا حجز العربى وهو فى أوج اقتداره على اللغة .. وهى فى أزهى عصورها .. فغير العربى من باب أُنلى أعجز .

فليس هنا تمييز للجنس العربى لا عنصرياً ولا لغوياً وإنما هنا حجة على العرب وعلى من جاء بحدهم تثبت عجزهم ـ سالمتقدمنن فى اللغة أصحاب صناعة الكلام عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن والمتأخرون سواء من العرب أو من غيرهم أعجز .. وبالتالى فحجة القرآن تلزمهم .

ونعرض قول العلماء فى ذلك وهو نفس النص الذى أتيت أنت به فى كتابك والذى جاء فى ص ٧٤ وهو :

«وإن الأصل والقدوة فيه العرب ومن عداهم تبع لهم وقابر

فيه عنهم ـ وأنه لا يجوز أن يدعى للمتأخرين من الخطباء والبلغاء عن زمان النبى ﷺ الذى نزل فيه الوحى وكان فيه التحدى بأنهم زادوا على أولئك الأولين أو كملوا فى علم البلاغة أو تعاطيها كما لم يكملوا له . كيف ونحن نراهم يجهلون عن أنفسهم ويبرءون من دعوى المداناة معهم فضلاً عن الزيادة عليهم . هذا هو خالد بن صفوان يقول : كيف نجاريهم . وإنما نحكيهم ؟ أم كيف نسبقهم وإنما نجرى على ما سبق إلينا من أعراقهم ؟»

أنبهك أولاً أن هذا هو قول عبدالقاهر الجرجانى ـ وهو فارسى الأصل عاش فى جرجان فى ظل دولة فارسية فى عهد الدولة الزيارية .. فكيف حكمت أن هذا العالم يتعصب للعنصر العربى .. وهو ليس بعربى وأنه يؤكد امتياز العرب نفاقا لحكام العرب وهو ليس تحت ظل حاكم عربى ؟ وكيف حكمت أن هنا تعصبا للعنصر العربى ؟ .. وما علاقة ذلك بذلك ؟!

إن عبد القاهر يعرض أبعاد قضية يناقشها منطقياً مؤداها أن العرب أصحاب اللغة العربية عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن ـ وسهل عليهم أن يحملوا السيف ليبطلوا به دعوة محمد وكان فى مقدورهم أن يبطلوها بآية يأتون بها من مثل آيات القرآن فعجزوا ﴿ **فأتوا بسورة من مثله** ﴾ وسهل عليهم ان تسيل دماؤهم ولم يسهل عليهم الإتيان بآية . وهذا دليل على عجزهم وهم أصل اللغة ومن عداهم تبع لهم وقاصر فيها عنهم .. فالعجز بالتالى ينطبق عليهم وحجة القرآن تلزمهم .

ويستشهد بأقوال من جاءوا بعدهم بأنهم أقل منهم فى اللغة

وأنهم أشد عجزاً من العرب ويأتى بنص خالد بن صفوان شاهداً من قوله على نفسه . بعجزه عن الإتيان بمثل القرآن وبأن حجة القرآن تلزمه ثم يأتى بنص من الجاحظ شاهداً على ذلك أيضاً ـ وأن الجاحظ نفسه يقول عن العرب الأوائل : «لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة والرونق العجيب والسبك والنحت الذى لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا أرفعهم فى البيان أن يقول مثل ذلك إلا فى اليسير والشىء القليل فالجاحظ شاهد على نفسه وعلى معاصريه بأنهم أقل من العرب الأوائل فى ديباجة اللغة ورونقها العجيب وسبكها ونحتها فإن عجزوا فهو أشدعجزاًمنهم والحجة كما لزمتهم تلزمه .

وهذا القول بنصه استشهدت أنت به عندك فى ص ٧٤ فمن أين لك إذن بأن الجاحظ أتى بمثل القرآن فى إعجازه وهو يعترف بأنه هو نفسه ومعاصريه لابدانى العرب العاجزين عن الإتيان بمثل القرآن فكيف استنتجت ذلك ونقرأ نص استنتاجك فى ص ٧٦ تقول :

«ونرى الجرجانى هنا يرد على تيار محدد بالذات يمثله كتاب متأخرون محددون بالذات ، رغم أنه لم يشر إلى أسمائهم . اقترنت دعوتهم بالتشكيك فى إعجاز القرآن وفى امتياز عرب قريش فى صدر الإسلام ـ وأشار الجرجانى إلى قصة معارضة الجاحظ وسواه للقرآن ، وسواء أكانت هذه القصة صحيحة أم كاذبة فهى تدل على أن المفكرين الشعوبيين كانوا يتخذون من إعجاز الجاحظ لواءً يقاتلون تحته دعاة عروبة الاسلام» .

من أين وكيف توصلت لهذا الاستنتاج ؟
ألست معى فى أنها براعة ما بعدها براعة فى قلب الحقائق ؟!!
ثم تقول فى ص ٧٤ .

«أما عبد القاهر الجرجانى فهو يمثل رأى السنة التقليدى فى إعجاز القرآن فعنده أن التحدى بالإعجاز لا معنى له إلاّ إذا كان موجهاً لأصحاب الأهلية وأصحاب الأهلية فى البلاغة ومعارضة القرآن ليسوا مجرد العرب ، ولكن العرب المعاصرين للرسول ، أما المتأخرون ، حتى العرب منهم فهم قاصرون عن بلوغ منزلة العرب الأولين ـ وبالتالى فالتحدى من باب أولى لا ينصرف إليهم»

أصحح أولاً لك خطأً يسيراً وهو أن عبدالقاهر اشعرى ثم أسألك بعد ذلك :

كيف توصلت إلى استنتاجك المضحك . واسمح لى بتلك الكلمة فلقد ضحكت حقاً والله . عندما توصلت أنت إلى تلك النتيجة التى تقول فيها إن التحدى من باب أولى لا ينصرف إلى العرب المتأخرين .

ارجع إلى ما نقلته أنت من كتابات عن عبد القاهر .

ولكن أسألك أنت سؤالا بينك وبين نفسك هل تظن أن تحدى القرآن توقف وانتهى ؟! من يشك فى أن القرآن معجز فليأت بمثله ولن يستطيع أحد الاتيان بمثله فهو حجة ملزمة .

﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾

فالقرآن حجة على جميع خلق الله إنساً وجناً ومن لم يصدق

فليأت بمثله وإلاّ لزمته الحجة .. وذلك الإعجاز قائم فيه وبه إلى يوم القيامة وحجته ملزمة للجميع أنا وأنت والكل سواء فى ذلك تيقظ ! !

واسحب استنتاجاتك بنفسك فحكم التاريخ صعب وأمانة الكلمة والعلم أصعب .

ليس الإسلام استعمارا[1]
وليس إعجاز القرآن وسيلة للسيطرة على الشعوب

يصور الدكتور لويس عوض الإسلام عالما يغلى ، ويجعل الشعوب المسلمة شعوباً مستعمرة باسم الدين همها الأكبر التخلص من المستعمر العربى ـ ويجعل علماء المسلمين يتخذون فى هذا أقنعة أيديولوجية متعددة .

وهاك نص قوله بالحرف الواحد يقول ص ٦٤ :

«هكذا كان الصراع بين العرب والشعوب التى حكمها العرب باسم الإسلام وقد اتخذ اقنعة أيديولوجية متعددة كالخلاف على أصول الحكم فى الإسلام والخلاف على شرعية إمام المسلمين والخلاف على الحق الطبيعى ، والحق الالهى» ـ

وينتهى الدكتور فى تصوره إلى استنتاج عجيب عجيب حقاً . وهو أن هذه نزعة متأصلة ممتدة عبر القرون ، وأنها تسيطر على

(١) نشرت فى ٢٩ جمادى الأولى ١٤٠١هـ/٤ أبريل ١٩٨١م تحت عنوان : هل يرغم فى العالم واحد أن صلة ما يمكن أن تكون بين إعجاز القرآن والسيطرة على الشعوب عربية كانت أو غير عربية ؟ ! ! هكذا يزعم الدكتور لويس عوض .

وهو أن هذه نزعة متأصلة ممتدة عبر القرون ، وأنها تسيطر على الباحثين فى إعجاز القرآن ـ وأعجب ما فى هذا كله أنه يجعلها منبثقة عن إعجاز القرآن الكريم ـ وإليك نص قوله بالحرف الواحد ص ٥٣/٥٤ :

«ومن يتأمل بدايات الفكر الاسلامى وتطوره عبر العصور يستطيع أن يتبين ظهور مجريين عظيمين كل منهما خرجت منه وصبت فيه تيارات وروافد متعددة ومتلاطمة ، ولكن رغم تعدد هذه التيارات والروافد ورغم تلاطمها لم يغير هذا التعدد وهذا التلاطم من التضاريس الأساسية شيئاً مذكوراً فبقى التكوين الأساسى للفكر الاسلامى عبر القرون قائماً على تجاور هذين المجريين الأساسيين العظيمين المتمثلين فيما يمكن أن نسميه : ١ ـ مدرسة العروبة . ٢ ـ مدرسة الإسلام . أما مدرسة العروبة فقد كانت دعائمها الأساسية هى تفسير إعجاز القرآن بما يعطى قداسة خاصة أو شرفاً خاصاً أو سيادة خاصة بين كافة المسلمين تؤهل العرب دون غيرهم لحكم العالم الاسلامى .»

أنظر إلى الصدر المنغول بالحقد وانظر إلى نُزَاء قرحته .

مدرسة العروبة : تفسير اعجاز القرآن بما يعطى قداسة خاصة أو شرفاً خاصاً أو سيادة خاصة بين كافة المسلمين تؤهل العرب دون غيرهم لحكم العالم الاسلامى ! ! !

وبماذا تفسر إعجاز القرآن أى مدرسة أخرى ؟! دلنا عليها ..

هل هناك مدرسة تفسر إعجاز القرآن بما يقلل من قداسته أو ينقص من شرفه أو يحد من سيادته .

أعدى أعداء القرآن وصفه بأن له حلاوة وعليه طلاوة وأن أعلاه مثمر وأسفله مغدق وأنه يعلو ولا يعلى عليه .. هل يمكن أن يفسر القرآن وإعجازه بغير هذا،والمستشرقون على اختلاف طوائفهم رغم حقد الحاقدين منهم من تعرض منهم لإعجاز القرآن أعطاه القداسة والشرف والسيادة رضى أم كره فتلك حقيقة مستمرة فيه وباقية أبد الدهر هل هؤلاء كانوا يؤهلون العرب دون غيرهم لحكم العالم الاسلامى ؟!

وأسألك : هل مدرسة الاسلام كانت تنتقص من قداسة القرآن أو من شرفه أو من سيادته ؟!!

من أين لك إذن بتلك الصلة التى جعلتها بين إعجاز القرآن وتأهيل العرب للحكم والاستعمار .

مقدمة خاطئة ونتائج أكثر خطأً . وقول لا يستند على علم ولا يبرره منطق وأسألك كيف جعلت الإسلام مسلطا على رقاب معتنقيه.

بل كيف جعلت علماء المسلمين من السلف الصالح لا هم لهم إلاّ ابتكار الوسيلة والبحث عن الذريعة التى يبررون بها سلطان المستعمر العربى على حد زعمك ونسيت أن معظم هؤلاء العلماء كانوا من أصل غير عربى .. وأنهم رجال عدول وأن خُلُقهم القرآن .

والأكثر من ذلك كله أنك جعلت العالم الاسلامى كله على اختلاف طوائفه لا هم له إلاّ التخلص من سيادة الجنس العربى الذى يسيطر على شعوب مستعمرة باسم الإسلام !! ما كل

هذا ؟! ومن أين أتيت به ؟!

أوليست الشعوب العربية شعوباً مسلمة هي الأخرى ؟!

وتقول في ص ٥٩ :

«أما الخوارج وغيرهم من الشيع التي رفعت لواء الأخوة في الدين والسيادة باسم الدين فقد استقطبوا الموالي أي الشعوب الإسلامية غير العربية وغذوا الحركات المعروفة بالشعوبية كبديل للملكوت المسلمين على الأرض ، وهذا طبيعي لأن هذه الدعوة كانت أساساً احتجاجاً على سيادة الجنس العربي على الشعوب الإسلامية باسم اللغة والدين بل وسيادة بني قريش على كافة القبائل العربية لمجرد أن النبي كان قرشياً»

أنظر معي أيها القارىء ! !

مدرسة العروبة تعطي قداسة خاصة لإعجاز القرآن وشرفاً له وسيادة تمكن العرب من الحكم . أما مدرسة الإسلام فهي تجعل السيادة باسم الدين . ومعنى ذلك الاحتجاج على سيادة الجنس العربي وسيادة بني قريش ! ! وكأن القرآن شيء والدين الاسلامي شيء وهما معاً ضدان ، هل هذا حق وعدل أو أنه أوهام وتخيلات .

دلنا يا رجل على التناقض بين القرآن والدين ـ أو بين سيادة القرآن ـ وسيادة الدين .

بالقرآن يسود الجنس العربي ويحكم ـ وبالدين تسود الشعوبية وتحكم وكأن كل المسلمين شعوبيين ـ وكأن للقرآن قوم وهم العرب ، وللاسلام قوم وهم الشعوبيون تخيلات عن سيادة الجنس

العربى مبعثها الرغبة فى تقويض ماض حضارى عظيم واسألك كيف جعلت كل هؤلاء على اختلافهم يبحثون عن بديل للملكوت المسلمين على الأرض وماذا تعنى بملكوت المسلمين على الأرض .

وما مبرر اقحامك النبى فى أمور لا مكان لها ولا مبرر ؟! وما معنى قولك : «لمجرد أن النبى كان قرشياً» ؟!

كلها أوهام تُطَوَّع وفق الهوى ـ وإذا عرف السبب بطل العجب .

وتقول أيضاً :

«وقد كانت دعوة الشيعة كدعوة الخوارج دعوة شعوبية من الناحية الاجتماعية رغم اختلاف الدعوتين فى المضمون الدينى كانت دعوة الشيعة دعوة شعوبية لأنها كانت منذ بدايتها مناهضة لحكم قريش وللعصبية العربية» .

ملأت الدنيا عصبية وملأتها عنصرية . ما كل هذا ؟

وإن كنت لا أجد مبرراً لإصرارك على أن تخلق تناقضاً بين العرب والمسلمين فإن المبرر بعيد بعيد عندما تجعل تناقضاً بين قريش وعلى بن أبى طالب فتجعل أشياع على (الشيعة) يناهضون حكم قريش وكأن عليا ليس من قريش .

عموماً لك ما شئت .. ولكن العجب الحق أنك تجعل هذا الصراع مستمراً عبر العصور وأنك تراه مازال باقياً فينا إلى اليوم حيث تقول ص ٥٨ بالحرف الواحد :

«ومع ذلك بقيت جذوة هؤلاء وأولئك تحت الرماد وظلت أسباب الفتنة تطل برأسها من عصر لعصر تحت أسماء أخرى لأن

الصراع الأكبر الذى فرق العالم الاسلامى لم يجب عن السؤال التالى إجابة حاسمة : الأخوة فى الاسلام أم الأخوة فى العروبة : ولمن كانوا يشتغلون بالحكم كانت القضية السيادة بالاسلام أم السيادة بالعروبة ، وأحسب أن آثارا من هذا الصراع لاتزال باقية إلى اليوم» .

وأسألك ماذا تعنى بقولك وظلت أسباب الفتنة تطل برأسها من عصر لعصر تحت أسماء أخرى ؟ وأن آثارًا من الصراع لاتزال باقية إلى اليوم ؟

لا شك أنك تعنى بدعوة جمال الدين الأفغانى واحدة من تلك التى أطلت برأسها من عصر لعصر أبربك تلك الدعوة تجعلها فتنة ؟!!

أليست جميع حركات اليقظة الحاضرة مدنية لها ؟!!

وهل تجد تناقضاً فى دعوة الأفغانى بين العرب والمسلمين ..

ألم يتخذ الأفغانى من مصر قاعدة له ومنطلقاً .

أليس من تلامذته محمد عبده .. وكل زعماء الوطنية فى مصر .. وغيرها .. ويكفى هذا وحده نقضاً لفكرتك .. أعد حساباتك .. وراجع كتاباتك !

كما أسألك : ماذا تعنى بقولك : واحسب أن آثارا من هذا الصراع لاتزال باقية إلى اليوم تعنى طبعاً الدعوة للقومية العربية . والدعوة لجامعة الشعوب العربية والاسلامية .

ولك أن تعنى ما تشاء ــ ولكن الذى يعنينا أن تلك أدلة ناطقة بنقض دعواك .

فليست فيها عصبية ، وليست فيها عنصرية . وليست أسباب فتنة بل هى نهضة ويقظة على غرار ما هو فى العالم من حولنا من نحو البرلمان الأوربى والسوق الأوربية المشتركة .. ولا أظن احداً مهما أوتى من براعة أن يقدر على إيجاد علاقة بين إعجاز القرآن وما يحدث فى العالم من حولنا أو بين سيادة الجنس العربى وما يحدث فى العالم من حولنا . وإن كنت لا استبعد أنك أنت قد تجد .. فان لم تجد فاعدل عما قلت ..

وأخيراً لا تنسى أنك منا وإن كنت علينا .

وأنك لن تكون أبداً من غيرنا .

فلا تجرد من نفسك حاملاً سيفاً علينا .

وعموماً لك ما تشاء .

ولكن أهم ما فى هذا أنك توافقنى على أنك بعدت بنا كثيراً عن قضية اللغة وعن فقه اللغة . ولذلك يجيئك سؤالى الذى ابتدأت معك به أول ما ابتدأت المقال الأول .

.. ولكن أين هو فقه اللغة فى كل هذا وفى النهاية أقول كما يقولون : الحق أبلج والباطل لجلج .

والسلام على من اتبع الهدى .



الفصـــل الثـالث

مناقشة دعاوى باطلة حول اعجاز القرآن الكريم ولغته : ضد الشيخ عبدالقاهر الجرجانى والقاضى عبد الجبار والشيخ أبى الهاشم الجبانى .
واختلاق أقوال لم تصدر عنهم .

(٧)

دعاوى باطلة[١] ضد الشيخ عبدالقاهر الجرجانى خاصة بإعجاز القرآن

ألزمت نفسى ألا أقول على الله إلاّ الحق وألا أتبع غير سبيل العلم فالمقام خطير ، وقداسته ما بعدها قداسة ويتصل بما ينبغى أن يكون عليه الفكر القويم وبما ينشر على عقول الناس ويلقنه شباب الأمة فى أخطر مراحل حياتهم فإذا تجاوز المنهج العلمى واتبع الهوى كان جناية ما بعدها جناية وعادى الحقيقة وأضاع الثقة ـ فما بالك إذا زوّر على العلماء .. أليست تلك هى الطامة الكبرى والمصيبة التى ليست بعدها مصيبة .. إنه تخريب فى العقول .. وفى الشباب .. فضلاً عن العقيدة .

ولكن ما الحيلة !! وماذا يملك الإنسان فيصنع ؟!!

ليس علىّ الا أن أعرض القضية بكل أمانة .. وأنقلها بكل أبعادها .. فأخلى مسئوليتى . وأبرىء ذمتى وساحتى أمام الله .. والله

---

(١) نشرت فى ٢٠ من جمادى الثانية ١٤٠١هـ/٢٥ أبريل ١٩٨١م تحت عنوان : هل ما قاله د . لويس عوض على عبد القاهر الجرجانى يمكن أن يثبت أمام منهج البحث العلمى .

على ما أقول شهيد . وتلك هي القضية بين أيدى القارئين ..

○ ○ ○

وموضوع قضية اليوم فى إيجاز موجز هو أن الدكتور لويس عوض يريد أن يدخل فى عقول القارئين لكتابه أن القرآن الكريم ليست معجزته موجهة لهم ـ وإنما القرآن كان موجهاً لأصحاب أهلية خاصة فقط وأصحاب تلك الأهلية الخاصة فى زعمه هم العرب المعاصرون للرسول أما المتأخرون حتى العرب منهم فهذا الأمر لا ينصرف إليهم .. فمعجزة القرآن انتهى دورها .. والقرآن بالتالى أدى دوره وانتهى أمره ! ! وتلك هي أمنيته بالطبع ! ! أن يوضع القرآن فى متحف ؟ ! !

وإن تعجب فالعجب الحق أن ينسب هذا القول للعالم الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجانى ..

أيها الدكتور قل كل ما يحلو لك وانسبه لنفسك أما أن تنسب لعالم مثل عبدالقاهر هذا الرأى على تلك الصورة التى عرضتها مملوءة بالاضطراب فليست هناك مقدمة تتصل بنتيجة ولا دال بالمدلول عليه فالهدف واضح وهو أنك تريد أن تبرز السلف من العلماء فى صورة أصحاب الأفكار المختلة المضطربة فينصرف عنهم الشباب . وأما إن كنت لم تقرأ بقية ما كتب عبدالقاهر فكيف تكتب فى فقه العربية دون أن تتسلح بالسلاح القوى من التراث .. أما إن كنت قد قرأته وأخفيت ما قرأت فأين هى الأمانة العلمية .. ! !

إن هذا لن يضر العلم . ولن يضر الله وإنما أضررت بكتابك .. ومكانه الآن معروف عند العلماء .. لا مكان له إلاّ بعيداً ..

هناك .. حيث متسع فسيح .. وعلى كل فما عليّ ؟!! لكل صاحب مشيئة مشيئةٌ وتلك هى أقوالهم :

يقول الدكتور لويس عوض ص ٧٤ من كتابه مقدمة فى فقه اللغة العربية عن عبدالقاهر بالحرف الواحد :

«فعنده أن التحدى بالاعجاز لا معنى له إلاَّ إذا كان موجهاً لأصحاب الأهلية ، وأصحاب الأهلية فى البلاغة ومعارضة القرآن ليسوا مجرد العرب ، ولكن العرب المعاصرين للرسول ، أما المتأخرون حتى العرب منهم فهم قاصرون عن بلوغ منزلة العرب ، وبالتالى فالتحدى من باب أولى لا ينصرف إليهم» .

وأسأل الدكتور ؟

ولماذا لا ينصرف إليهم ؟!!

ولمن ينصرف إذن ؟!!

وكيف تكون الحجة بالقرآن وفيه باقية إذن إلى يوم القيامة ؟!!

وتقول إن هذا هو قول عبدالقاهر ورأيه إذن إليك ما قاله عبدالقاهر عن التحدى بالقرآن وعن الحجة فيه يقول عبدالقاهر :

«قامت به الحجة على العجم قيامها على العرب ، واستوى الناس قاطبة فلم يخرج الجاهل بلسان العرب من أن يكون محجوجاً بالقرآن» .

أيها الدكتور : عبدالقاهر يقول الحجة بالقرآن قائمة على العجم قيامها على العرب . القرآن يتحدى فى كل زمان ومكان ويلزم بالحجة . أما أن تقبل التحدى وإما أن تلزمك الحجة ..

أيها القارىء إن عبدالقاهر يجعل الغاية من تعبدنا بتلاوة القرآن وحفظه والقيام بأداء لفظه على النحو الذى أنزل عليه من الله هذا السبب .

يقول عبدالقاهر بالحرف الواحد :

«انا لم نتعبد بتلاوته وحفظه والقيام بأداء لفظه على النحو الذى أنزل عليه وحراسته من أن يُغيّر ويبدل إلاّ لتكون الحجة به قائمة على وجه الدهر تعرف فى كل زمان ويتوصل إليها فى كل أوان ويكون سبيلها سبيل سائر العلوم يرويها الخلف عن السلف ويأثرها الثانى عن الأول» .

هذا قليل مما قاله عبدالقاهر فى هذا الصدد .. وسوف نرى نصوصا كثيرة له :

هل هناك أوضح من قول عبدالقاهر هذا فى قضية اعجاز القرآن والتحدى به وإن حجته قائمة على رقاب الإنس والجن إلى يوم القيامة ؟

أيها الدكتو :

ما فائدة أن نتعبد بتلاوة القرآن وحفظه إذن ؟ وأن نقوم بأداء لفظه على النحو الذى أنزل عليه وأن نحرسه من أن يغير أ يبدل ؟!

ألا تعرف لذلك سببا غير ما قال عبدالقاهر ؟! دلنا عليه

ما معنى أن تكون الحجة به قائمة على وجه الدهر تعرف فى كل زمان ويتوصل إليها فى كل مكان ؟! هل معناه الرأى الذى نسبته إلى عبد القاهر زورا وبهتانا ..

هل الحجة على أصحاب أهلية خاصة فقط هنا ؟!!

هل معنى أن الحجة قائمة على وجه الدهر معناها انتهاء الحجة أو انتهاء التحدى أو انتهاء الحجة بانتهاء التحدى .. أو دوام الحجة بدوام التحدى ؟!! أو دوام الحجة وانتهاء التحدى ؟! أو بقاؤهما معا .. دلنا بربك ؟!

حيرت دليلنا !! فكّر ودلنا .. أظن المسألة لا تحتاج إلى تفكير طويل، الآن وضح الأمر إذن لماذا تنسب لعبد القاهر قولا هو برىء منه .

إن عبد القاهر يضرع إلى الله ويستجير بالعلم : وإليك نص ماقاله لمن يقول بمثل ما تقول به :

نص عبد القاهر بالحرف :

«خبرنا عما اتفق عليه المسلمون من اختصاص نبينا عليه السلام بأن كانت معجزته باقية على وجه الدهر أتعرف له معنى غير أن لايزال البرهان منه لائحا معرضا لكل من أراد العلم به وطلب الوصول إليه والحجة فيه وبه ظاهرة لمن أرادها والعلم بها ممكنا لمن التمسه فإن كنت لا تشك فى أن لا معنى لبقاء المعجزة بالقرآن إلاّ أن الوصف الذى له كان معجزا قائم فيه أبدا وأن الطريق إلى العلم به موجود والوصول إليه ممكن فانظر أى رجل تكون إذا أنت زهدت فى أن تعرف حجة الله تعالى وآثرت فيه الجهل على العلم وعدم الاستبانة على وجودها وكان التقليد فيها أحب إليك والتعويل على علم غيرك آثر لديك ونحّ الهوى عنك وراجع عقلك واصدق نفسك يبين لك فحش الغلط فما رأيت وقبيح الخطأ فى الذى توهمت . وهل رأيت رأيا أعجز واختيارا أقبح ممن كره أن تعرف حجة الله

١٨١فتعالى من الجهة التى إذا عرفت منها كانت أنور وأبهر وأقوى وأقهر وآثر أن لا يقوى سلطانها على الشرك كل القوة ولا تعلو على الفكر كل العلو ، والله المستعان» (انتهى قول عبدالقاهر هنا الآن) .

وأسأل : هل هناك نص أوضح من هذا ؟! !

ماذا يمكن أن يقوله عبدالقاهر غير هذا فى تلك القضية ؟! !

أنظر أيها القارىء مدى ما فى قول عبدالقاهر هذا من تسلسل ؟! أعد قراءته هل هو فى حاجة لتوضيح أو شرح .. على العموم ، فالنص أمام القارىء ليرى إن كان الدكتور على حق فيما نسبه لعبد القاهر ..

بربك الا تحس أنه يخاطب شخصاً بعينه أيها الدكتور هل تريد مزيداً من أقوال عبدالقاهر حتى لا تأتينا بأقوال فيها اضطراب يسىءُ إلى فكر هؤلاء العلماء وتبلبل أذهان الشباب إن عبدالقاهر أعطى هذه القضية عمره ويقول بخصوصها : لم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء .. حتى خرج لنا بكتاب كامل خالد يسميه دلائل الاعجاز يبحث فيه ليرى كما يقول بالحرف الواحد :

«ما هذا الذى تجدد بالقرآن من عظيم المزية وباهر الفضل والعجيب من الرصف حتى أعجز الخلق قاطبة وحتى قهر من البلغاء والفصحاء القوى والقدر وقيد الخواطر والفكر حتى خرست الشقائق وعدم نطق الناطق وحتى لم يجر لسان ولم يبين بيان ولم يساعد إمكان ولم ينقدح لأحد منهم زند ولم يمض لهم حد وحتى أسأل الوادى عليهم عجزاً وأخذ مناقد القول عليهم أخذاً» .

هذا نص عبد القاهر الذى يقول . فيه إن القرآن أعجز الخلق

قاطبة وقهر البلغاء والفصحاء وأخرس الشقائق وأعدم نطق الناطق وأنه أسأل الوادى عليهم عجزا .

وأسألك هنا : الا ترى تناقضا بين رأييك أنت : الرأى الذى ترى فيه أن زمن التحدى انتهى وأن التحدى بالقرآن بطل . والرأى الذى ترى فيه أن المثقفين الذين يحسب حسابهم من المولدين والمتأخرين عن عصر الصحابة وغيرهم أتوا بمثل القرآن ودأبوا على التهجم على اعجاز القرآن ذاته ـ أقرأ الرأيين الأول فى ص ٧٤ والثانى ص ٧٥/٧٦ .

وعموما فما علىّ ؟! إلاّ أن آتى بنصوصك هذه وتلك وبأدلتك وأقوالك أنت وأخلى مسئوليتى وأريح نفسى وأترك الأمر للقارىء .

فالكل مسئول سواء من أسر القول أو من جهر به سوف آتى بصفحات كاملة لنرى الأدلة التى يرى فيها الدكتور لويس الآراء التى ينسبها لعبد القاهر : فى كتابه مقدمة فى فقه اللغة نص قوله بالحرف الواحد ص ٧٤ تكملة لقوله السابق الذى أتينا به من نفس الصفحة : ويعرض فيه أدلة على الرأى الذى نسبه لعبد القاهر من أقوال عبد القاهر ومن أقوال الجاحظ معا :

أرجو ملاحظة أن تلك هى الأدلة التى أتى بها ليثبت أن القرآن انتهى دوره :

يقول ص ٧٤ :

«وأن الأصل والقدوة فيه العرب ومن عداهم تبع لهم وقاصر فيه عنهم . وأنه لا يجوز أن يدعى للمتأخرين من الخطباء والبلغاء عن زمان النبى ﷺ الذى نزل فيه الوحى وكان فيه التحدى انهم

زادوا على أولئك الأولين أو كسوا فى علم البلاغة أو تعاطيها لما لم يكملوا له كيف ونحن نراهم يجهدون عن أنفسهم ويبرءون من دعوى المداناة معهم فضلا عن الزيادة عليهم هذا خالد بن صفوان يقول كيف نجاريهم وإنما نحكيهم أم كيف نسابقهم وإنما نجرى على ما سبق إلينا من أعراقهم ؟ . ونرى الجاحظ يدعى للعرب الفضل على الأمم كلها فى الخطابة والبلاغة ويناظر فى ذلك الشعوبية ويجهلهم ويسفه أحلامهم فى إنكارهم ذلك ويقضى عليهم بالشقوة وبالتهالك فى العصبية ويطيل ويطنب ثم يقول « ونحن أبقاك الله إذا ادعينا للعرب الفضل على الأمم كلها فى أصناف البلاغة من القصيد والأرجاز ومن المنثور والأسجاع ومن المزدوج وما لا يزدوج فمعناه أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة والرونق العجيب والسبك والنحت الذى لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا أرفعهم فى البيان أن يقول مثل ذلك إلاّ فى اليسير والشىء القليل » ا . هـ .

من منكم أيها القراء يقول أن فى هذا النص أى دليل على أن القرآن بطل التحدى به أو أن حجته انتهت أو أن اعجازه موجه لأصحاب أهلية خاصة وهم العرب الذين هم فى عصر الرسول أما المتأخرون حتى العرب فلا ينصرف إليهم ؟!!!

هل معنى قول عبد القاهر : «زمان النبى الذى نزل فيه الوحى وكان فيه التحدى» أن التحدى بطل أو أن الإعجاز انتهى ؟ المعنى الذى عليه جميع علماء الأمة أن الوحى كان زمن النبى وخاص به فقط أما التحدى والإعجاز فهو لمن فى زمن النبى ومن فى كل زمن ــ فى كل أوان ومكان ــ !!! وكذلك المعنى الواضح من

النص السابق والذى يفهمه الناس كلهم :

عبد القاهر والجاحظ وخالد بن صفوان وكل الدنيا يقولون إن أشعر الناس اليوم وأرفعهم فى البيان لا يقدر على أن يقول أو أن يكون فى اللغة العربية مثل هؤلاء السابقين إلاّ فى اليسير والشىء القليل وقد عجز السابقون أمام تحدى القرآن لهم ، فمن باب أولى أن الآخرين أعجز ــ أما تحدى القرآن فهل توقف .. أو معجزته انتهت .. أو الحجة به وفيه بطلت ؟ .. لا .. ولا يصح أن تكون النتيجة «أن التحدى من باب أولى لا ينصرف إليهم» على نحو ما ينتهى إليه الدكتور .. المهم أن النص أمام كل قارىء يستطيع أن يحكم عليه : بأن العرب هم الأصل فى لغتهم ومن عداهم تابع لهم فيها وقاصر فيها عنهم وهذا طبيعى فلقد كانت اللغة لهم سليقة وهى لنا بالتعليم ونحن نحاكيهم أو نقلدهم فكيف نسابقهم ؟ !

وهم عاجزون أمام تحدى القرآن فنحن من باب أولى أعجز وتلك قضية على العرب وعلى غير العرب وعلى الناس كلهم ، ان تحدى القرآن قائم .

هل يستطيع أحد أن يستنتج غير ذلك أو يبنى نتائج على أن هناك طبقات من المفكرين يحسب لهم حساب فى حياتهم الثقافية يهاجمون إعجاز القرآن وأنهم . أتوا بمثل القرآن ــ أو أن الجاحظ أتى بمثل القرآن .. وأن مفكرين يقاتلون تحت لواء إعجاز الجاحظ للقرآن ...

على العموم أنا أخلى مسئوليتى وآتى بالنص الذى جاء به الدكتور بعد ذلك مباشرة وبناه على ما جاء به من آراء فى الأقوال

السابقة حيث يقول بعد النص السابق مباشرة ص ٧٤ ـ ٧٥ الاستنتاج الآتى بالحرف الواحد :

«وقارىء هذا الكلام سواء عند الجرجانى أو عند الجاحظ فى الجزء الثالث من البيان والتبيين لا يسعه إلا أن يحس بأنه بازاء وجهه من وجوه ما يسمى عادة معركة القدماء والمحدثين . وهذا إحساس صادق . ولكنه لا يمثل القضية كلها فهؤلاء الفقهاء والأدباء المتأخرون المؤكدون لامتياز العرب بعامة على كافة الأمم فى البلاغة والبيان فطرة وصناعة والمؤكدون لامتياز العرب فى عصر الرسول على الكافة من المتأخرين لم يكونوا كدون كيشوت يقاتلون طواحين الهواء أو ينازلون أعداء وهميين . وإنما كانوا يقاتلون طبقات من المفكرين يحسب لهم حساب فى حياة عصرهم الثقافية دأبت على التهجم على العرب وعلى إعجاز القرآن ذاته . وقد رأينا كيف أشار الرمانى إلى المولدين وجعلهم دون العرب الخلص فى مراتب البلاغة وما هؤلاء المولدون الا المتأخرون من المستعربين وأبناء الشعوب الإسلامية المفتوحة واخلاط الزمن المتأخر الذين لا نعرف من أعراقهم إن كانوا عربا أو عجما أو بين ـ لأنهم قد أجمعوا على لسان العرب وعلى دين الاسلام . أما الجاحظ فقد وضع النقط على الحروف حين ندّد بشعوبية المتهجمين على امتياز العرب على الأمم كلها واتهمهم بالعصبية القومية المعادية للجنس العربى» .

أين الرابط فى كل تلك الأقوال ؟! وما العلاقة بين كل تلك الأفكار ؟

وأسأل أين القتال وأين المنازلة ؟ ومن هؤلاء ؟ المقاتلون ؟ ! !

هل فى قول الرمانى شىء يخالف الحقيقة أو يشير إلى عنصرية ..

الرمانى يقول إن المتأخرين من المولدين أو غيرهم ممن تلقنوا العربية بالتعليم أقلّ أو دون العرب الخلص . فى مراتب البلاغة وأقل منهم . وهذا ما قاله عبدالقاهر وما قاله الجاحظ وما يقول به أى لغوى فى العالم أيا ما كان موقفه فتلك حقيقة لغوية مسلم بها والوصول إلى مرتبة هؤلاء الأوائل يكون فى اليسير والشىء القليل على حد قول الجاحظ هل هنا غير ذلك ؟ ! ! هل هنا تحدى بطل ؟ ! او إعجاز انتهى ؟ ! أو أحد أتى بمثل القرآن ؟

أما ما قاله الدكتور من تعليق على الرمانى بقوله :

«وما هؤلاء المولدون إلاَ المتأخرون من المستعربين وأبناء الشعوب الاسلامية المفتوحة واخلاط الزمن المتأخر الذى لا نعرف من أعراقهم إن كانوا عربا أو عجما أو بيْن لأنهم قد أجمعوا على لسان العرب وعلى دين الاسلام» .

فلست أدرى لم سيقت هذه النتيجة ؟ ! وما الغرض منها ؟

والأمر أمام القارىء والقضية بين أيديكم ! ! أقرءوا وأعيدوا .. اللهم فاشهد

وأسأل هل ندد الجاحظ هنا بشعوبية المتهجمين على لسان العرب ؟ ! وأين هو التهجم ؟ هل قال الجاحظ هنا غير الحق ؟

قول الجاحظ بالحرف :

لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا أرفعهم فى البيان أن يقول مثل ذلك إلاَ فى اليسير والشىء القليل : «أى أن أى إنسان مهما تعلم

العربية سواء فى ذلك أنا وأنت والكل لا يقول مثلهم الا فى اليسير ونص الجاحظ كله أمام القارىء هل فيه هنا معاداة للجنس العربى ؟!! ـ فالنص أمام الجميع يقرؤه من شاء ويعيده ويرى الرأى الحق ويفكر ويتأمل .

والقضية برمتها مطروحة لمن شاء أن يناقشها من أى زاوية شاء .

ولكن لى سؤال يتصل بصلب الموضوع وهو : انتهاء التحدى بالقرآن ما صلته باللغة وفقهها .

ومن هنا يجىء سؤالى الذى ابتدأت به مقالى الأول وهو :

.. ولكن أين هو فقه اللغة فى كل هذا ؟؟

لا يليق أن يقول عالم عن العلماء غير ماقالوا[1]

من قبل الزمت نفسى ألا اتبع غير سبيل العلم ، وألا أقول على الله الا الحق فالمصيبة عظمى ـ وأقدس المقدسات تنتهك فى مؤلف مفروض أنه علمى .. غير أن ما يعرضه من قضايا لا يمكن أن ينزه عن الهوى ، ولا يمكن أن يبرأ من سوء القصد .. وثالثة الأثافى التى يقولون عنها أنه يقول على العلماء غير ما قالوا ليرضى هوى فى نفسه لذا نأتى بنصوص أقوالهم ونعرضها كما هى .. ونضع القضية بكل أبعادها أمام القارىء ..

يقول ص ٥٣ : «وأما المعتزلة والفلاسفة فقد انقسموا إلى ثلاث فرق : فرقة تؤمن بإعجاز القرآن فى مبناه وفى معناه ـ وفرقة تؤمن بإعجازه فى معناه دون مبناه . وظهرت بين المعتزلة فرقة ثالثة من أمثال القاضى عبد الجبار وبعض شيوخه الذين قالوا : بأن الإعجاز واقع ولكن المعجزة ابتداء هى أن الله «صرف» قلوب العرب عن محاولة الإتيان بمثله ، رغم تحديهم بذلك ، ولكن مع هذا لم يفرطوا فى اعجاز القرآن» .

هذا ما يقوله الدكتور على القاضى عبد الجبار ـ وبعض شيوخه .

---

(١) نشرت فى ١٣ جمادى الآخرة ١٤٠١هـ/١٨ أبريل ١٩٨١م تحت عنوان : هل يليق أن يقول عالم على العلماء غير ما قالوا ؟ !

وسوف نرى حقيقة ماقاله القاضى عبد الجبار وبعض شيوخه أى الشيخ : أبو الهاشم الجبائى ـ

ولكننى أسأل الدكتور عن أى صرفة تتحدث ؟! !

ألأنها صادفت هوى فى نفسك تجعلها قول عبدالجبار وبعض شيوخه .. وأسأل ومن هم شيوخه فى هذا غير الجبائى ؟... بل وتجعلها رأى فرقة كاملة وتقول : فرقة ثالثة ..

أما علمت أن الصرفة لم يقل بها إلا أعداء الدين والمطعون فيهم .. ؟! وأن العلماء جندوا أنفسهم للرد على من قالوا بها وفندوا أباطيلهم فيها .

إن لم تكن تعلم فارجع ولو على سبيل التمثيل لا الحصر أرجع ولو إلى ما قاله عالم واحد وليكن عبدالقاهر الجرجانى فى هذا الصدد لتعرض الرأى بأمانة قبل الحديث عنه ، وإلاّ فاخرج إلى النور وقل ما تريد أن تقوله جهارا نهارا ولننظر معاً فى قولك :

أنظر معى أيها القارىء إلى ما يقوله الدكتور :

إنه يقول : «الإعجاز واقع ولكن المعجزة ابتداء هى أن الله «صرف» [هكذا بين قوسين] قلوب العرب عن محاولة الإتيان بمثله رغم تحديهم بذلك ، ولكنهم مع هذا لم يفرطوا فى إعجاز القرآن» .

يقول إن الله تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن وأنه كان فى مقدورهم الإتيان بمثل القرآن ولكن الله صرف قلوبهم عن الإتيان بمثله علماً بأنهم كانوا قادرين عليه ولنعد نص القول : «ولكن المعجزة هى أن الله صرف قلوب العرب عن محاولة الإتيان بمثله رغم

تحديهم بذلك» أنظر معى إلى قوله «رغم تحديهم بذلك» واعدهُ لترى مدى ما يتركه فى نفس القارىء من تناقض وحيرة .

الله تحدى !! بماذا ؟!! بلا شيء !! لأنه تحدى بقرآن مقدور على الإتيان بمثله !! ثم أبعد الناس وصرف قلوبهم عن الإتيان بمثله رغم تحديهم به !! لم كان التحدى ؟!! وفيم كان التحدى إذن ؟!!

ما هذا الذى نسمع :

القرآن المعجز !! وفى المقدور الاتيان بمثله !!

لندع قول الله تعالى : **﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾**

لندع النص القرآنى وننظر فيما قاله الدكتور حيث يقول «إن هذا رأى فرقة ثالثة من أمثال القاضى عبدالجبار وبعض شيوخه» تقول على العلماء غير ما قالوا لترضى هوى فى نفسك !!

قل إننى أريد أن أقول .. وقد قلتها وهذا هو قولك .. وأنت حر قل ما شئت .. أما عبدالجبار .. وشيخه أبوالهاشم الجبائى فما قالا بهذا أبداً وإليك نص القاضى عبدالجبار : يقول عبدالجبار :

«إنهم عدلوا عن المعارضة لوضوح أمر القرآن ومزيته فى رتبة الفصاحة وأنه مباين لما جرت بمثله العادة ، فهو معجز لا محالة ـ فهذا هو الأمر الذى نصرناه وبينا صحته .»

فالقاضى عبد الجبار يقول : إن العرب عندما وجدوا القرآن واضح البلاغة وله مزية فى رتبة الفصاحة لم يقدروا على معارضته فعدلوا عنها لوضوح الأمر عندهم فهو معجز لهم وفوق ما جرت به

عادتهم فى الفصاحة ثم يقول فهو معجز لا محالة اقرأ مرة ثانية :

«لوضوح أمر القرآن ومزيته فى رتبة الفصاحة وأنه مباين لما جرت بمثله العادة فهو معجز لا محالة» ثم أقرأ الجملة الآتية وأعدها مرات :

«فهذا هو الأمر الذى نصرناه وبيّنا صحته»

أليس هذا هو قول عبدالجبار؟!!

من أين أتيت بالصرفة عند عبدالجبار؟!!

عبدالجبار وغيره من العلماء السابقين عليه واللاحقين له يرون أن القرآن معجز بفصاحته ونظمه ولهم فى ذلك مفاهيم ونظريات كثيرة ولكن الذى يعنينا منها الآن أن نقف معك عند أقوال عبدالجبار وشيخه الذى يتحدث عنه ويذكره دائما ويصرح بذكره فى كل موضع أبى الهاشم الجبائى فى هذا الصدد لنعرض الأمر على القارىء فالكتاب وثيقة على من قرأه ومن لم يقرأه ونحن شهود على ما كتبته رضينا أم كرهنا قلنا الشهادة أم كتمناها ..

وقبل أن آتى بنفس النصوص :

أعطى لك وللقارىء أمثلة بعناوين فصول كاملة تبين حتى لمن لم يقرأها أن عبدالجبار يرى أن الاعجاز فى فصاحة القرآن وبلاغته وأنه أعجزهم بمزيته ورتبته العالية التى لا يقدر على الإتيان بمثلها أحد فى الفصاحة والبلاغة عناوين تقع تحتها فصول كاملة إليك منها على سبيل التمثيل فصل فى بيان صحة التحدى بالكلام الفصيح ..

فصل فى بيان الوجه الذى عليه يصح كون القرآن معجزا ..

فصل فى أنه ﷺ تحدى بالقرآن وجعله دلالة على نبوته .

فصل فى بيان الدلالة بأن القرآن معجز وما يتصل بذلك ..

فصل فى أن معارضة القرآن وإيراد مثله لم تقع وما يتصل بذلك ..

فصل فى بيان الدلالة على أنهم لم يعارضوه عليه السلام لتعذر المعارضة عليهم ..

فصل فى بيان اختصاص القرآن بمزية فى رتبة الفصاحة خارجة عن العادة ..

فصل فى بيان إعجاز القرآن وما يصح من ذلك وما لا يصح وما يتصل بذلك ..

فصل فى الجواب على مطاعن المخالفين فى القرآن ..

فصل فى أن من حق الكلام أن يكون دليلا ..

فصل فى بيان الفصاحة التى فيها يفضل بعض الكلام على بعض ..

فصل فى الكلام الذى له يقع التفاضل فى فصاحة الكلام ..

فصل فى بيان السبب الذى له يصح الكلام فى التفاضل فى الفصاحة ..

وغير ذلك كثير كثير ..

إن لم تكن قد قرأت فلتقرأ .. وإن كنت قد قرأت .. فلماذا تقول على عبد الجبار غير ماقال ..

إن كنت تحرف كلامه عن مواضِعِهِ لحاجة فى نفسك فاعلم أن ذلك لن يضر الله شيئا وإنما أنت أضررت بنفسك وبمؤلفك ومكانه الآن معروف جيدا .. والحكم عليه آتٍ . وإنَّ غدا لناظره

قريب[1] ! !

دعنا ولنبرىء ساحتنا فى هذا المجال العلمى الخطير ونأتى بنص من أقوال عبدالجبار أولا ... ثم نتبعه بنص لشيخه أبى الهاشم الجبائى ثانيا :

فكل منهما يبين الوجه الذى به تظهر مزية الفصاحة فى القرآن ويصبها فى قالب قوانين تصلح للحكم على الكلام الفصيح حتى تتبين مزيته فى الفصاحة وبها يفضل الكلام الكلام ويرتقى مرقبا فوق مرقب حتى يصل إلى الكلام المعجز وإلى حالة تتساوى عندها الأقدام فى العجز فالقرآن فصيح بليغ يمتاز بالبيان والبراعة نتيجة لتأليف الكلام فيه وضمه بعضه إلى بعض بطريقة مخصوصة . قال عبد الجبار فى الوجه الذى له يقع التفاضل فى فصاحة الكلام :

«أعلم أن الفصاحة لا تظهر فى الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ولا يمنع الضم من أن تكون لكل كلمة صفة وقد يجوز فى هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التى تتناول الضم وقد تكون بالإعراب الذى له مدخل فيه . وقد تكون بالموقع . وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع . لأنه إما أن تعتبر فيه الكلمة أو حركاتها أو موقعها ولا بد من هذا الاعتبار فى كل كلمة ثم لا بد من اعتبار مثله فى الكلمات إذا انضم بعضها إلى بعض . لأنه قد يكون لها عند الانضمام صفة . وكذلك لكيفية إعرابها وحركاتها وموقعها فعلى هذا الوجه الذى ذكرنا إنما تظهر مزية الفصاحة بهذه الوجوه دون ما

---

(١) هذا الكلام قبل الحكم على الكتاب بزمن طويل وتجاهله أصحاب التحقيق انظر الملاحق وادعوا أن الكتاب تبودل مدة عامين ثم جاءت الشكوة بعد ذلك .

عداها» .

إلى هنا واكتفى ببعض ما قال عبدالجبار كدليل على تفكيره فى تلك القضية ومن أراد المزيد فعليه بالاستزاده ولن أعلق ولن أشرح فالأمر جلى .. واضح ..

ثم آتى بأسطر قليلة من قول شيخه أبى الهاشم يقول عن شيخه وبذكر اسمه ولا بذكر لنفسه شيخا غيره فى هذا ..

تحت عنوان : فى بيان الفصاحة التى فيها يفضل بعض الكلام على بعض : فى إعجاز القرآن :

«قال شيخنا أبو هاشم إنما يكون الكلام فصيحا لجزالة لفظه وحسن معناه . ولا بد من اعتبار الأمرين . لأنه لو كان جزل اللفظ ركيك المعنى لم يعد فصيحا فإذا يجب أنْ يكون جامعاً لهذين الأمرين . وليس فصاحة الكلام بأن يكون له نظم مخصوص . لأن الخطيب عندهم أفصح من الشاعر والنظم مختلف ـ إذا أريد بالنظم اختلاف الطريقة وقد يكون النظم واحدا ـ وتقع المزية فى الفصاحة فالمعتبر ما ذكرناه . لأنه الذى يتبين فى كل نظم وكل طريقة ـ وإنما يختص النظم بأن يقع لبعض الفصحاء يسبق إليه . ثم يساويه فيه غيره من الفصحاء فيساويه فى ذلك النظم ومن يفضل عليه يفضله فى ذلك النظم» .

وإلى هنا نكتفى ..

وواضح أن واحدا منهما لم يتعرض للصرفة التى يقول بها الدكتور وانما يرون الإعجاز فى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة . ويبحثون فى كيفية وقوع الفصاحة والبلاغة فى الكلام ـ وكيف يرتقى

كلام على كلام ويفضله فى هذا المقام وبذلك يصلون إلى معرفة دلائل إعجاز القرآن وأسباب الإعجاز ..

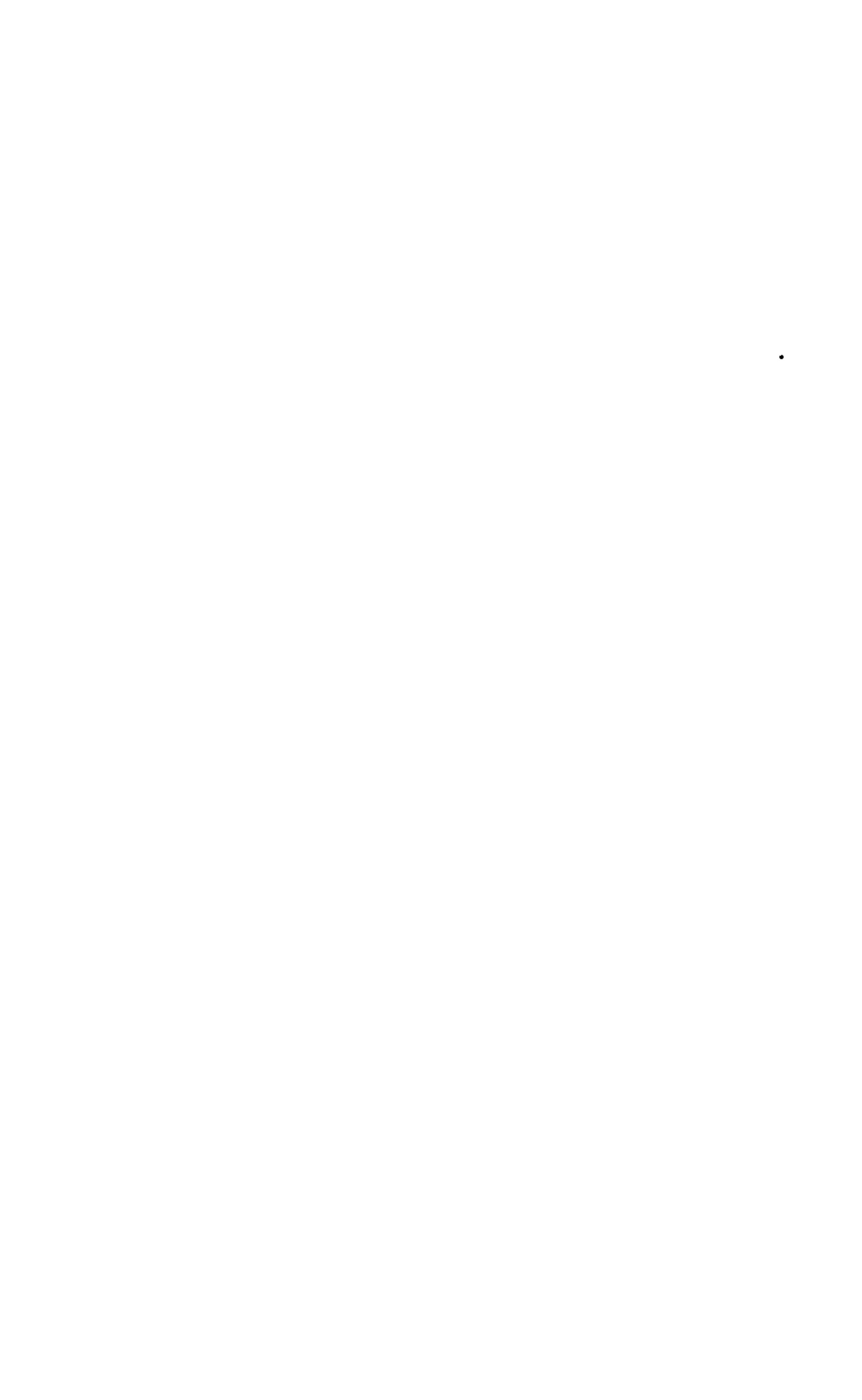
وأقول إن لكلام العلماء هنا صلة باللغة وفقهها ولكن ما علاقة قولك أنت هنا بفقه اللغة ..

ومن هنا يجيئك سؤالى الذى ابتدأت به معك أول ما ابتدأت أين هو فقه اللغة فى كل ما تأتى به ؟!

الفصــل الرابـع

○ مناقشة أكاذيب ودعاوى باطلة حول العقيدة من نحو قوله : إن علماء المسلمين قالوا باتخاذ إلهين إثنين وبترجمة القرآن ... إلى آخره ..

○ وأكاذيبه حول نزول الوحى أو القرآن على آل البيت وبأن آل البيت وحدهم كانوا وعاء الوحى الالهى ... إلى آخره ..



من قال : إن علماء المسلمين قالوا : باتخاذ الهين إثنين؟ أو بترجمة القرآن[1] ..٧ إلى آخرة .. ؟؟ ! !

الدكتور لويس عوض عنده الغاية تبرر الوسيلة .. وغايته واضحة معروفة لكل من يقرأ كتابه ...

المهم انه يتخذ لتحقيق غايته كل الوسائل ففى كل مرة وفى كل موقف يتخذ وسيلة مختلفة على نحو ما رأينا فيما مر من المقالات السابقة ..

ووسيلته فى قضية اليوم عجيبة .. شىء لم يُسْمع به .. ولم يحدث ان قال به أحد ..

فهو يقول : إن التثليث عند النصارى له شبيه عند علماء المسلمين غير أنه قائم على الثنائية فقط ..

ولنوضح فكرته كما جاءت عنده نعرضها من موضعين فى

(١) نشرت فى ٦ من جمادى الآخرة ١٤٠١هـ/١١ أبريل ١٩٨١م تحت عنوان موازنات ما أنزل بها من سلطان من ذا الذى يقول إن علماء المسلمين قالوا : باتخاذ الهين اثنين وبترجمة القرآن ... و ... و ... إلى آخره .

كتابه :

يقول فى ص ٨٤/٨٣ بالحرف الواحد :

«بهذا الكلام الواضح القاطع نجد أنفسنا فى القلب من ذلك المبحث الخطير الذى يسمى فى تاريخ الفكر الاسلامى «علم الكلام» وهو ليس علما من علوم اللغة ولا صلة له بالكلام بالمعنى المتعارف عليه وإنما هو المقابل الإسلامى لما يسمى بالثيولوجيا أو علم اللاهوت فى تاريخ الفكر المسيحى فإن شئت مزيداً من الايضاح فلنقل إنه علم كلام الله أو علم القرآن لا من حيث هو تشريع أو فقه أو قصص دينى أو بيان .. ولكن من حيث كونه وحيا وتنزيلا ومن حيث صلته بذات الله» .

وتكملة فكرته وتوضيحها تأتى عنده ص ٨٨/٨٧ حيث يأتى نصه بالحرف الواحد على النحو الآتى :

«وهذا ليس إلاَّ رداً على النظريات اللاهوتية التى تساوى فى القدم وسائر الصفات بين اللوجوس (Logos) أو الفيربوم (Verbum) أى الكلمة وبين الله ـ وقد تنبه عبدالجبار إلى أنها مدرسة من جنس تثليث النصارى حيث يساوى الأب بالابن والروح القدس غير أنها قائمة على الثنائية فقط أى أنها تساوى الله بالكلمة والأب بالروح القدس» . (انتهى كلام الدكتور) ..

وأسأله : مالنا وما لهذا ؟! ماذا تريد ؟! ما صلة هذا بفقه اللغة ؟!

هل تزرع اليوم ما تنتظر ثماره الغد أو بعد الغد ؟!!

الأمر واضح ...... !!

والأمر بين أيدى القارئين .

غير أنى أقول : هل يعقل أنَّ من يكتب فى فقه العربية أن يغفل فى مثل هذا عن قول الله ﴿**لكم دينكم ولى دين**﴾

وأترك تلك القضية تماماً .. وأغلق بابا وانتقل إلى غيرها ..

والأمر المحير حقاً أن كل فكرة تروقك وتراها سهما صائباً فإنك تصوبها وتنسبها لعالم من السلف ..

أما كفاك ما نسبته لعبد القاهر من آراء أثبتنا بنصوص أقواله وبالدليل القاطع أنه منها برىء ؟!

وأسأل :

هل عبدالجبار هو المشجب .. أوكما يقولون هو (الحيطة الواطية كل ما يخلو لك تضعه على رأسه ـ أثبتنا بالأدلة القاطعة أن عبدالجبار لم يقل بما قلت به فى المقالات السابقة .. ولم تضر عبد الجبار ولا عبد القاهر .. وإنما أضررت بكتابك وبالثقة فيه ..

ومن جديد تعود وتنسب لعبد الجبار آراء لو سمعها لتبرأ منها ونكرها .. وتضع على كاهليه ما هو منه برىء .. تقول عنه ص : ٨٩

«ويبدو أن القاضى عبدالجبار كان يشير من طرف خفى إلى جواز ترجمة القرآن إلى اللغة الفارسية لأنه يربط كلام الله فى نفس السياق بتواضع الناس على معانى الألفاظ والتراكيب .. الخ» .

أيها القارىء أعد قراءة نصه وردده وأعط بالك لكلماته : «يبدو أن القاضى .. كان يشير من طرف خفى إلى جواز ترجمة القرآن» .

هل قضية خطيرة كهذه يحكم فيها عالم على رأى عالم آخر

بكلمات يبدو .. ويشير ... وطرف خفى ... وجواز ؟!» الأمر هنا مخالف جداً ، وخطير للغاية .. وذلك لأنَّ رأى علماء المسلمين فى كل العصور هو اجماعهم على عدم ترجمة القرآن قولاً واحدا .. والنص القرآنى واضح قاطع : القرآن ﴿**بلسان عربى مبين**﴾ و ﴿**إنا جعلناه قرآنا عربياً**﴾ .. وإن من علماء اللغة اليوم من يرون استحالة نقل نصوص من لغات إلى أخرى لصعوبة نقل خصائص الأصل .. ولهم مباحث هامة ومتنوعة فى «ترجمة ما لا يترجم» ولهم شروط بخصوص الترجمة يَنْدُرُ أن تتوفر فى حالات كثيرة .. بل إن الجاحظ قال من قديم عن الشعر : « لا يستطاع أن يترجم ولا يجوز عليه النقل ، ومتى حُوِّل تقطع نظمه ، وبطل وزنه ، وذهب حسنه وسقط موضع التعجب منه» .

وقد صادف الباحث محمد مرمدوك بكْتَال صعوبة وهو ينقل لفظة الجلالة (الله) إلى الانجليزية أيترجمها بكلمة (God) إنها لا تنطبق عليها وغير دقيقة بالنسبة لها لأنها لا تثير فى ذهن القارىء الانجليزى ما تثيره كلمة (الله) فكلمة (God) تؤنث (Godess) وتجمع (Gods) على حين أن كلمة الله عز وجل لا تؤنث ولا تجمع لأنها توحى بالوحدانية فالله واحد أحد تصور يقضى على الشرك والوثنية لذلك فقد نقل اللفظة إلى الانجليزية كما هى (الله) فهو اسم الله الأعظم الذى لم يتسم به غيره (هل تعلم له سميا) أى من تسمى باسمه وهو الله .

فتلك كلمة واحدة من كتاب الله يستحيل أن تترجم وكذلك بقية كلماته وتراكيبه يستحيل أن تنقل من العربية إلى غيرها .. وعلى

من أراد أن يعرف القرآن فليتعلم العربية ويدرسه بالعربية أو يقرأ دراسات وترجمات لتفسيرات له متعددة وهكذا .

أما كل ما ينقل ويكتب عن القرآن فى اللغات الأخرى فهو ليس القرآن أبداً بل هو تعريف له أو تفسير أو دراسة أو شروح أو غير ذلك ...

أيها القارىء تدبَّر معى .. وانظر إنه عندما تحدث عن عبدالجبار هنا لم يتمكن من أن ينسب له رأيا صريحاً فالقضية هنا مخالفة تماماً لكن أنظر ماذا كان :

اختار كلمة يبدو

فإن قيل دلنا على هذا الرأى كيف وجدته ومن أين ؟!!

أجاب بأننى لم أقل بأنه قطع أو صرح وإنما قلت كان يشير ..

فإن قيل دلنا على موضع تلك الإشارة التى يبدو منها ذلك :

أجاب : إنَّ ذلك من طرف خفى ... أمر قد تصورته أنا عن عبدالجبار ولنعد قراءة نصه هنا مرة ثانية :

«ويبدو أن القاضى عبدالجبار كان يشير من طرف خفى إلى جواز ترجمة القرآن إلى اللغة الفارسية» .

لا شك أن من يقرأ هذا النص فى كتاب الدكتور وهو خَلِىّ الذهن عن هذه القضية .. يرى أن القاضى عبدالجبار قال بجواز ترجمة القرآن إلى الفارسية .. وماذا فى هذا إذن ولماذا لا نترجمه إلى بقية اللغات ..

وعلىّ وعلى أعدائى

ألم تترجم بقية الكتب السماوية الأخرى ... هل القرآن خير منها

كما قال هو فى أكثر من موضع آخر .. ؟!

أيها الدكتور مالنا وما لهذه القضايا ؟!

وأسأل :

أليس فى قولك بجواز ترجمة القرآن مخالفة للنظريات اللغوية الحديثة الدقيقة فى هذا الصدد ؟!

أليس هذا هو علم اللغة ؟!

أين أمانة نظريات علم اللغة هنا ؟!

أين هو فقه اللغة فى كل هذا ؟!

أين الدقة والأمانة عند نسبة رأى لصاحبه ؟!

أينسب عالم لعالم رأياً ليس معه دليل قاطع عليه ؟!!

ويقول : «ويبدو ... أنه كان يشير .. من طرف خفى ..»

أليست تلك الأفكار تمس جوهر العقيدة .. وكتابها المقدس ..

وندع هذه القضية كما هى على حالها فالأمر فيها واضح ..

○ ○ ○

وانتقل إلى نص آخر من أقوالك أنت وأعرضه على القارئين دون أن أتدخل بتقديم له أو تعليق عليه أو تحليل فيه واكتفى بأن أقدمه على ما هو عليه والكل مسئول عنه لأنه نص مكتوب منشور والكلمة المكتوبة باقية .. مسئوليتها فى أعناقنا رضينا أم كرهنا فخطرها لا يقف عند حد اليوم أو الغد ومسئوليتها لا يتبرأ منها أحد رضى أم كره ..

يقول الدكتور بالحرف الواحد ص ٨٥

«وأهمية رأى المعتزلة فى كلام الله هى أنه مساوِ للغة التى يشاء

الله أن يخاطب بها الناس سواء كانت العبرية أم الآرامية أم العربية أم أية لغة تكلم بها نبى فى قومه والأنبياء عديدون ومنهم من نعرف قوميته ولغته ومنهم من لا نعرف فكلام الله إذن مع إعجازه فى الفصاحة والبلاغة فى اللغة التى نزل بها غير مساو لذات الله القدسية وإنما هو متصل بذوات البشر العارضة لأنه ككلام العباد فهو إذن فى لغات البشر صورة ومضموناً مهما قيل فى سموه على مألوف الكلام » .

واكتفى هنا بهذا الجزء من هذا النص وأدع القارىء أمام ما فيه على ما فيه من مغالطات ..

واكتفى بمغالطة واحدة لا يعلم مدى خطرها أحد إلاّ الله أيها القارىء أعد سطراً واحداً فقط ورَدِّدْهُ وقف أمامه ما شاء لك الوقوف . وهو :

«فكلام الله إذن مع اعجازه فى الفصاحة والبلاغة فى اللغة التى نزل بها» وأسأل :

هل يجهل أحد أن معجزة محمد هى فى إعجاز القرآن ـ وأن تلك معجزة له وحده ـ خُصَّ بها ـ وهى باقية أبد الدهر . ؟! !

وأن معجزات الأنبياء متعددة ومبهرة وجرت على أيديهم فى أزمنتهم وأنها ليست خاصة بكتبهم ؟!

ولكن الدكتور يقول : «فكلام الله إذن مع إعجازه فى الفصاحة والبلاغة فى اللغة التى نزل بها» . سواء فى العبرية أم الآرامية أم العربية أم أية لغة تكلم بها نبى والأنبياء عديدون منهم من نعرف قوميته ولغته ومنهم من لا نعرف المهم ان الدكتور يقول إن

كل هذا معجز فى اللغة التى نزل بها ـ وأساله: بربك أبينك وبين نفسك تصدق أن معجزات الأنبياء فى كتبهم ؟!

ويهمنى أن يتمعن القارىء فيما وراء قول الدكتور هذا ..

كل كتب الأنبياء فى اللغات التى نزلت بها معجزة فى الفصاحة والبلاغة وكتاب محمد كبقية كتب الأنبياء .

فأين هى معجزة محمد ؟!!

وتنتهى القضية عند هذا . !!!

وأقول لك قل كل ما يحلو لك ـ ولنترك الآن كل ما جاء فى القرآن خاص بهذه النقطة ـ علماً بأنه لا ينبغى أن يكتب فى فقه العربية من يجهل حقيقة جوهر تلك القضية أو يمارى فيها ..

واطرح تساؤلات :

هل إذا ترجم القرآن إلى أى لغة على أيدى أعظم المترجمين وأمهرهم وأمكن نقل كل خصائص النص تصير ترجمة القرآن هذه معجزة محمد ؟!!

السؤال يغنى عن الجواب !!

هل يعقل أن يجهل من يكتب فى فقه العربية موقف القرآن من الكتب السماوية .. بأنه مصدق لها ومهيمن عليها :

﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه﴾

و **﴿إن هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون﴾**

.. إذن لم يختلفون .. ما أسباب الخلاف ؟!

.. وفيم يختلفون .. ؟!

ولم كان القرآن هو المهيمن ؟!

هل إذا ترجم القرآن واختلفت فيه أقلام المترجمين يكون مهيمناً وبناؤه معجزاً ونصه حاسماً ؟!!

أمر واضح جلي لا يقبل حوارا

ولا ينتظر جواباً ..

ولكن الحقيقة هنا مخالفة

وللقرآن هنا موقف لا يملك أحد أن يكتمه أو يسكت عن ذكره ..

القرآن تحدى .. وتسلسل فى التحدى من العلو إلى الدنو .. ولذا فهو يطالب من زعم بأنه بلغ غاية الغايات فى العربية ووضع نظرية فى فقه لغتها أن يقبل التحدى ويدعو معه من استطاع من دون الله من الإنس والجنّ معاً وأن يأتى بمثل القرآن فإن لم يستطع فبعشر سور فإن لم يستطع فبسورة واحدة من مثل القرآن فإن لم يستطع فليأت بحديث من مثله .. وليكن من أساطير الأولين .. اسمعت من أساطير الأولين ؟! فإن لم يستطع هو ومن معه فليعلن العجز وليسحب كل ما قال ..

وبقى أن أوجه القول للقارىء :

أيها القارىء لاحظ أننا قرأنا جمله فحسب واعدنا قراءتها .. ومن يتدبر يجد حلقات سلسلة مترابطة هدفها واضح ..

أينشر على عقول الشباب الغضة الطرية فى دور البناء كل هذا ؟!



الغرض تضليل العقول وزرع السموم بادعائه نزول الوحى على آل البيت ! !

يقول الدكتور لويس عوض ص ٦١ :

«لأن آل البيت وحدهم كانوا وعاء الوحى بالاختيار الإلهى لصفات خاصة فيهم ، وهو ما لا يمكن أن يقال فى أشراف قريش ولا فى العرب بعامة ممن حاربو الرسول وآذوا آل بيته ولو كان لهم ما أرادوا لما كان هناك إسلام ولا مسلمون» ..

ونكتفى مؤقتاً بهذا النص ونقف عند بعض جمله ونتساءل دون أن نعلل وندع القارئ يفهم ..

ماذا تقصد بأن آل البيت وحدهم كانوا وعاء الوحى ؟! !

هل نزل الوحى على أحد من آل بيت الرسول ؟! أو من غيرهم ؟! !

من هو؟! .. دلنا عليه .. ؟! !

أيها الدكتور الرسول وحده هو الذى خُصَّ بالوحى الإلهى ..

(١) نشر هذا المقال فى ٦ من جمادى الآخرة ١٤٠١هـ/الموافق ١١ من أبريل ١٩٨١م تحت عنوان : من يقرأ فيدلنا على غير التضليل والسموم فله منا الشكر.

من يجهل ذلك كيف يكتب فى فقه اللغة العربية ؟؟!!!

طبعاً أنا أنزهك عن الجهل بذلك .. !!! ولكن بقى أن أجد من ينزهك عن أنك تعنى غير الذى تعنيه وما هو واضح من أنك تقصد أن تضلل عقول الدارسين خاصة من المبتدئين .. فى أمر خطير كهذا يتصل بجوهر العقيدة .. يؤكد ذلك ويوضحه ويأتى دليلاً عليه عبارتك أنت التى أوردتها بعد ذلك مباشرة .. وهى :

«كانوا وعاء الوحى بالاختيار الإلهى»

وأسألك ما معنى الاختيار الإلهى الذى تتحدث عنه ؟!

هل يكتب أحد فى فقه العربية وهو يجهل قول الرسول :

«يا فاطمة بنت محمد أنا لا أغنى عنك من الله شيئا» ..

وقوله : « .. والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها» ..

من ذا الذى ينطبق عليه اختيار إلهى بعد ذلك من آل البيت ؟!! دُلَّنا عليه ؟!!

أمر عظيم كهذا .. تقول فيه بما يخالف الحق !! وأنت تعلمه ؟!! أريد من يدلنى هنا على أنك لا تبيت نية التضليل فى جوهر العقيدة ؟! ولكن كيف !؟ ومن أين؟! وبقية عبارتك أنت تدل على مقصدك !! ولنقرأ نصها : تقول :

«كانوا وعاء الوحى بالاختيار الإلهى لصفات خاصة فيهم»

دلنا على صفة واحدة منها .. تُمَيِّزُ واحدا من آل البيت عن غيره من البشر ؟!

هل من أحد يجهل قول الرسول : ﴿**إنما أنا بشر**﴾

وقول الله : **﴿وما محمد إلاَّ رسول﴾**

فما تلك الصفات الخاصة التى كانت فى آل البيت ميزتهم عن البشر؟! والتى من أجلها كانوا وعاء الوحى بالاختيار الإلهى ؟؟!

هل هناك أمر أعظم من هذا ؟! تخوض فيه وفق هواك ؟!!

وهل هناك مقام فوق هذا تنتهك فيه الحرمات بهدف التضليل ؟

وعلى كل أقول لك قل ما شئت .. فما علينا .. ليضل من يضل .. فالله غنى عن العالمين .. وندع هذا ولننتقل معك إلى نتيجتك التى انتهيت أنت إليها فى قولك السابق حيث تقول :

«وهذا ما لا يمكن أن يقال فى أشراف قريش ولا فى العرب بعامة ممن آذوا الرسول وآذوا آل بيته ولو كان لهم ما أرادوا لما كان هناك إسلام ولا مسلمون» .

نعم تلك هى أمانيهم .

ولكن أليس فى هذا دليل كاف ؟! على أن الأمر ليس بأيديهم ولا بأمانيهم .. ولا أمانيكم .. قال تعالى : **﴿ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب﴾** .. دليل قاطع على أن الأمر ليس بيد أحد إلاَّ الله . **﴿ولو كره الكافرون﴾**

وبعد أرأيت بدليل عملى معنى أن إعجاز القرآن باق به وفيه إلى يوم القيامة .. وعموماً لكل من شاء مشيئته ..

وإذا كانت تلك الأسطر الثلاثة التى عرضناها دون تحليل لها أو توضيح لما فيها رأيناها مملوءة بكل تلك الألغام التى تفتك بكثير من العقول اليوم وبعد اليوم .. فما بالك بمن يتابع قراءة بقية ما كتب .. أمر محير حقاً .. أن يصدر هذا عن عالم مثل الدكتور لويس عوض

لذا آثرت أن أنقل من كتابه هذا صفحة بتمامها دون تقديم لها أو تعليق عليها لأضع الأمر أمام القارىء وأشركه فى الحكم وما علىَ ليقف القارىء وصاحب النص معاً .. وجهاً لوجه وبالصدفة لتكن تلك الصفحة الموجودة أمامى الآن ص ٦١ وليأتى القول متصلاً ؛ علينا أن نبدأ قبل تلك الصفحة بعدة أسطر أى من ص ٦٠ حيث يقول :

«ورغم هذه الاختلافات الأساسية بين الخوارج والشيعة فقد كانا يلتقيان فى شىء خطير أخطر ما يكون وهذا هو الثورة على الحق العربى وعلى السلطة العربية اللذين قدمهما بنو أمية (بنو قريش) كبديل للحق الدينى إلهيا كان أو انسانياً ليثبتوا به أن العرب أولى من غيرهم من المسلمين بحكم أمة المسلمين بدعوى أن النبى قرشى ، وبدعوى أن القرآن نزل بلغة العرب وبلهجة قريش من دون سائر لهجات العرب ولو كنا نستخدم لغة العصر الحديث لقلنا إن الخوارج والشيعة وسائر الدعوات التى تجمع تحت ألويتها مسلمو الأمصار المفتوحة كانت تنظر إلى حكم بنى أمية على أنه فترة الاستعمار العربى باسم الدين واللغة لما فتحه المسلمون لا العرب وحدهم من أمصار غير عربية دخلت دين الإسلام وتكونت منها الأمة الإسلامية فهى بهذا المعنى حركات قومية تحررية أو شعوبية كما كان يقال بلغة ذلك الزمان . دخلت الخوارج إلى الفكرة القومية من باب ودخلت الشيعة إليها من باب آخر : أما الخوارج فقد قالت إنه لا حكم إلاّ لله وتحت الله يتساوى المؤمنون ، لا فضل لعربى على عجمى إلاّ بالتقوى . أما الشيعة فقد قالت لا حكم إلاّ لآل البيت والناس بعد

ذلك مراتب بحسب قدرتهم على الوصول وحصر حق الملك فى آل بيت الرسول وحده ، وهو من أفقر أسباط قريش وأقلهم عزة وجاها ينسف الحق القرشى والحق العربى لأن آل البيت وحدهم كانوا وعاء الوحى بالاختيار الإلهى لصفات خاصة فيهم وهو ما لا يمكن أن يقال فى أشراف قريش ولا فى العرب بعامة ممن حاربواالرسول وآذوا آل بيته . ولو كان لهم ما أرادوا لما كان هناك إسلام ولا مسلمون» .

أرأيت حقاً يراد به الباطل أكثر من هذا ؟!!

حنكة ما بعدها حنكة فى بث السموم وتضليل العقول بقول تملؤه الآراء المختلطة المضطربة تنتشر بين اسطر الكتاب وفى صفحاته بصورة يصعب معها السيطرة عليها أو حتى حصارها .. والهدف واضح ... والكتاب وثيقة تاريخية علينا جميعاً من قرأه ومن لم يقرأه . !!

وعلى كل أنا كما قلت اكتفى بأن أبرز بعض النصوص مع بعض تساؤلات :

وأسأل : ما المقصود بالحق الدينى إلهيا كان أو إنسانياً ؟!

قول دخيل علينا لا نعرف له معنى ولا مضمون له عندنا ! ! !

ـ ما معنى أن العرب أولى بغيرهم من المسلمين بحكم أمة المسلمين بدعوى أن النبى عربى قرشى ؟!! وبدعوى أن القرآن نزل بلغة العرب وبلهجة قريش من دون سائر لهجات العرب ؟!!

ما كل هذا ؟! عرب من ؟!! الذين هم أولى من غيرهم ؟! ومن غيرهم هؤلاء ..

ثم ما المقصود بعبارة : «بدعوى أن النبى عربى قرشى .. وبدعوى أن القرآن نزل بلغة العرب وبلهجة قريش من دون سائر اللهجات ؟!!

ما الهدف من كل ذلك ؟ وماذا وراءه ؟!

ثم ما معنى الاستعمار العربى باسم الدين واللغة لما فتحه المسلمون لا العرب وحدهم ؟

أنظر أيها القارىء : كيف يصور الأمر :

خلاف بين المسلمين والعرب مبعثه أن العرب استغلوا المسلمين فى الفتوحات وتركوهم دون أن يعطوهم من الغنيمة .. يصور الأمر على أنه سرقة اختلف عليها اللصوص ..

أنسينا أن الشعوب المفتوحة هى التى كانت تدخل فى دين الله لا تبغى مالا ولا سلطانا .. ومن صنع شيئاً فى ذلك فهو منزه عن المطمع .. لأنه يبتغى به وجه ربه ...

ثم أنظر إلى قوله : « فهى بهذا المعنى حركات قومية تحررية أو شعوبية كما كان يقال بلغة ذلك الزمان » .. وأترك أمام القارىء نص ذلك القول وله أن يعيد كلماته على نفسه .. ويحس وقع صداها .. حركات قومية .. تحررية شعوبية .. أىّ حركات ومن يتحررون وممن يتحررون وما معنى القومية وذلك مصطلح حديث .. ما كل هذا ؟!

ولنقرأ قوله : دخلت الخوارج إلى فكرة القومية من باب ودخلت الشيعة إليها من باب آخر .. أى قومية تعنى ؟! وما تلك الأبواب ؟!

ثم أقرأ قوله وأعده أيها القارىء :

«والناس بعد ذلك مراتب بحسب قدرتهم على الوصول»

وأسأل أى وصول يفهمه القارىء أو يقصده الكاتب ؟!

وما تلك المراتب التى تصنعها القدرة على الوصول ؟!

أما عن قوله : عن الرسول بأنه أقل قريش عزة وجاهاً فاكتفى بألاّ أشير إليه ـ وإلاّ أعلق عليه . ! !

فإنما العزة لله ولرسوله .. ! ! [1]

ولندع بقية النص دون تعليق عليه أو تساؤلات من حوله فهو أمام القارىء يضع عليه ما شاء من تساؤلات أو تحليلات ..

ولكننى أظن أن أحداً ما لا يختلف معى على أن الدكتور أبعدنا كثيراً عن اللغة وفقهها ـ ومن هنا يجيئه سؤالى الذى ابتدأت القول معه به : ولكن أين هو فقه اللغة فى كل هذا ..

لا لغة ولافقه وإنما أباطيل وسموم مغلفة بهذا العنوان ..

---

(١) ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون آية ٨ سورة المنافقون .



الفصـــل الخـامس

مناقشة أقواله حول لغة القرآن وبيان أنها معيار الصحة والفصاحة بالبحث العلمي والدراسة اللغوية وليس كما يزعم من أن انتصار الإسلام جعل العلماء يسيرون فى ركاب القوة ويقولون إن لغة القرآن أفضل اللغات .. إلى آخر ما قال ...



لغة القرآن معيار الصحة والفصاحة بالدرس لا بالسيف(١)

قضية اليوم لها من العجب نصيبها .. فالدكتور لويس عوض يتهم السلف من العلماء بأن منهجهم كان يسير فى ركاب القوة ..

وأن انتصار الإسلام وسيادة بنى قريش ولهجتهم ونزول القرآن بلغة قريش فرض عليهم أن يقولوا : «إن لغة قريش هى أرقى لغات العرب» وجعلهم «يتخذونها معيار الصحة والفصاحة» وكذلك انتصار الإسلام جعلهم يقولون : «إن لغة العرب هى أفضل اللغات وأوسعها» كما جعلهم يقولون كذلك : «إن لغة العرب توقيف» (أى من عند الله)

أى أن السيادة والنصر فرض على العلماء ما يقولون ـ وليس طبيعة البحث أو العلم ـ ولذلك كانت تقابلهم مشكلات وكان عليهم أن يجدو لتلك المشكلات التبرير أو الحل .. ومعنى ذلك أن شيئاً آخر لو فرضه النصر أو حد السيف والقوة لسار منهج العلماء فى ركابه . فالانتصار وسيادة بنى قريش ولهجتهم ونزول القرآن بلغة قريش فرض على العلماء هذا الذى فرض ، وعلى حد قول

الدكتور :

«لا شك بسبب نزول القرآن بلغة قريش وبسبب سيادة بنى قريش ولهجتهم بعد انتصار الإسلام على بقية القبائل العربية ولهجاتها ..

ومن الجدير أن نلاحظ جيداً قوله : «بعد انتصار الإسلام» .. فالانتصار هو الذى فرض ..

وعلى كل علينا أن نأتى بنص الدكتور بتمامه وكماله ونتركه أمام القارىء يفكر فيه .. أو يعلق عليه .. أو يحكم بما يحب . فالكتاب منشور على الناس يقرءون .. ويعلقون .. ويحكمون بما يشاءون .. ذلك من حق الجميع .. وتلك مسئوليتهم .. لا يملك أحد أن يتجاهلها .. أو يقول فيها بما يخالف الحق .. أو يقلل من أمرها .. أو يغض من خطرها .. فالكتاب حجة .. وأثره باق الغد وبعده .. ومسئوليته فى أعناقنا ..

نص قول الدكتور ص ٦٧ بالحرف الواحد :

«وقد توسع فقهاء اللغة العربية الأوائل وكثير من المتأخرين فى إثبات ما جاء فى (الصاحبى) لابن فارس من أن (لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها وكان عليهم أن يواجهوا مشكلة تعدد لهجات العرب التى كانوا يسمونها (لغات) فى الموازنة مع لغة قريش التى نزل بها القرآن .. فاتفقت كلمتهم على أن لغة قريش معيار الصحة والفصاحة ، لا شك بسبب نزول القرآن بلغة قريش وبسبب سيادة بنى قريش ولهجتهم بعد انتصار الإسلام على بقية القبائل العربية ولهجاتها .»

ونسأل الدكتور :

هل ما جاء فى الصاحبى لابن فارس من أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها بناه ابن فارس على دراسة وبحث علمى أو بناه كما تقول : «لا شك بسبب نزول القرآن بلغة قريش وبسبب سيادة بنى قريش ولهجتهم بعد انتصار الإسلام على بقية القبائل العربية ولهجاتها» ؟!

إنَّ من يقرأ كتاب الصاحبى لابن فارس يستحيل أن يصدر عنه هذا الحكم .. وبين أيدينا كتاب الصاحبى لابن فارس - ولنقرأ هذا المبحث تحت عنوان :

«باب القول على أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها» لنرى عمل ابن فارس .. وقد أقامه على منهج علمى لغوى هو منهج الدراسة اللغوية التقابلية أو الدراسة اللغوية الموازنة .. ومن المعلوم أن ابن فارس من أصل فارسى وأنه يجيد اللغة الفارسية كما أنه يجيد العربية وهو صاحب المؤلفات المعروفة لنا فيها فحكمه على العربية والفارسية حكم بصير بهما ..

وبعض مقتطفات فقط من أقوال ابن فارس وأعماله تبين أن عمله علمى جليل دقيق له فيه فضل الريادة يوازن فيه بين لغات يجيدها وهو فى موازنته يستقصى المستويات التحليلية اللغوية المختلفة ـ فيبحث مستوى الدلالة والبيان ويخرج بأن إمكانيات العربية أوسع ـ ثم يوازن من حيث مستوى التراكيب وطرق بناء الجمل وينتهى بأن أبنية العربية ذات إمكانيات لا توجد فى غيرها ويوازن من حيث المفردات ودقة المعانى والأصوات والجرس

الموسيقى ووقع الكلام على الآذان وخفته على اللسان موازنة الخبير باللغات .

فمن أقواله مثلاً عن الدلالة والبيان فى اللغة العربية إذا ما قيس بلغته هو الفارسية قوله : «وإن أردت مثلاً أن سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية فهذا غلط لأننا لو احتجنا إلى أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد ، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسماة بالأسماء المترادفة فأين هذا من ذاك ؟ وأين لسائر اللغات من السّعة ما للغة العرب ؟ هذا ما لا خفاء فيه على ذى نهية» (أى ذى عقل) ..

حكم آخر يقول فيه ابن فارس :

«وقد قال بعض علمائنا حين ذكر ما للعرب من الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير وغيرها من سنن العرب فى القرآن فقال : ولذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة ... لأن العجم لم تتسع فى المجاز اتساع العرب ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله : جل ثناؤه ﴿**وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء**﴾ (الأنفال ٨/٥٨) ـ لم تستطع أن تأتى بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذى أودعته حتى تبسط مجموعها وتصل مقطوعها وتظهر مستورها .. فتقول» . (ويأتى بكيفية البناء على طريقة لغة العجم فى بنائها) .

ثم يوازن من حيث دقة الكلمات فى تأدية المعانى ويقول :

«ولو أراد معبر بالأعجمية أن يعبر عن الغنيمة والإخفاق واليقين

والشك والظاهر والباطن والحق والباطل والمبين والمشكل والاعتزاز والاستسلام لعيّ به» (أى عجز ولما استطاع) .

ويوازن من ناحية المفردات وسعتها ويبين أن العربية أوسع .. ويوازن من ناحية منهج النطق والعادات الصوتية ويبين أن عادات العرب النطقية منحت بنية الكلمات وبناء الجمل جرسا موسيقياً له خفته على اللسان وحسن وقعه على الآذان فيقول مثلاً : «ومن ذلك تركهم الجمع بين الساكنين وقد تجمع لغة العجم ثلاث سواكن» كما يتحدث عن التخفيف .. واختلاس الحركات .. والإدغام .. الخ حديث الخبير باللغات الباحث المتعمق فى دراسة الألسنة ومعرفة خصائصها ..

ثم يوازن من حيث الاستعمالات الجارية على الألسن فى الحياة اليومية موازنة العليم بأسرار اللغات .. ويبين أن هناك كثيراً فضلت به لغة العرب غيرها فنقول : «وهو كثير بمثله طالت لغة العرب اللغات ..» ..

وبعد دراسة فيها الدقة والأصالة والعمق والفهم يقول : «ولو تقصينا ذلك لجاوزنا الغرض ولماحوته أجلاد وأجلاد» (أى مجلدات بتعبيرنا) .

ومعناه أنه أطال نظره وبحث ودرس وانتهى إلى نتائجه بالدرس لا بالسيف . فماذا أنت قائل بعد هذا ؟

والشيء بالشيء يذكر فما وُجِّة لمنهج علماء العربية يذكرنا بتساؤلات يثيرها منهج الدكتور لويس عوض فى الفصل الرابع من كتابه (فقه اللغة المقارن) ..

فمن الأصول التى أقرها اللغويون فى المنهج المقارن .

○ إن المنهج المقارن يطبق على مجموعات معنية من اللغات المنتسبة لأصل واحد . وهذا ما لم يحدث فى الدراسة عندك حيث طبقته على جميع المجموعات اللغوية ـ وهذا ما لم يعرفه المنهج . ولهذا جاءت نتائجك كلها على غير أساس .

○ المنهج المقارن يستبعد الكلمات المستعارة من لغة أخرى . ومنهجك لم يستبعد شيئاً وإنما اتيت حتى بلهجات من مجموعات من لغات أخرى .

○ اللغويون المقارنون لهم جهود مشكورة تنير البحث فى تاريخ العائلات اللغوية .

ومنهجك أغفل كل جهودهم بل وهدمها .

○ اُستُخْدم المنهج المقارن للوصول إلى الصور الأصلية أو الصور الأم الوالدة لمجموعات كثيرة من اللغات .

ولم يدلنا منهج الدراسة عندك على أى أصل ولم يعطنا صورة للغة أم والدة .. الخ . فكل ما جاء فى كتابك من موازنات وتصورات ومقارنات لا أساس له وبعيداً عن العلم .

○ منهج الدراسة اللغوية المقارنة من الدقة والسلامة بحيث مكن بعض اللغويين من إعادة بناء بعض الأشكال الأم أو الأصلية لبعض اللغات .

ولكن المنهج الذى اتبع فى الدراسات المقارنة عندك كان هدفه فرض بعض أشياء آمنت بها مسبقاً وأردت أن تفرضها ـ فكل ما صنعت لا أساس له وإنما يحركه الهوى .

وعموماً فتلك نقطة لم يحن بعد حين الحديث فيها لذا ندعها ونواصل ما نحن بصدده .

تقول : «كان على العلماء أن يواجهوا مشكلة تعدد لهجات العرب التى كانوا يسمونها لغات فى الموازنة مع لغة قريش التى نزل بها القرآن فاتفقت كلمتهم على أن لغة قريش معيار الصحة والفصاحة .»

وتعلل لذلك بقولك :

«لا شك بسبب نزول القرآن بلغة قريش وبسبب سيادة بنى قريش ولهجتهم بعد انتصار الإسلام على بقية القبائل العربية ولهجاتها» .

ومعنى قولك هذا أنه لو سادت قبيلة أخرى لاتفقت كلمة العلماء على أن لغتها هى معيار الصحة والفصاحة . فالعلماء يسيرون حسب سلطان سيادة القبيلة ـ وحسب ما تفرضه قوة النصر أو قوة السيف .

ولا يعقل أو يتصور أن يكتب فى فقه العربية من لم يمر بدراسات العلماء حول اللهجات العربية القديمة ويقرأ عن تعليلاتهم لم كانت لهجة قريش أفضل كل اللهجات ـ ولم اتخذت معيارا للصحة ؟ ولماذا ترفض أية لهجة من لهجات القبائل الأخرى أن تكون معيارا للصحة والفصاحة ـ وما ذلك إلاّ لعيوب فى تلك اللهجات ولظواهر لهجية خاصة بكل لهجة تنقص من فصاحتها وبالتالى لا تجعلها تتخذ معياراً للصحة والفصاحة . إذا ما قيست باللغة الأدبية النموذجية التى نزل بها القرآن الكريم .

ومن دراساتهم وأقوالهم فى هذا الصدد أن لغة قريش ترفعت عن خصائص فى اللهجات الأخرى .

ونضرب على ذلك أمثلة من بعض أعمال للعلماء لهم فيها مؤلفات يكفى منها أن يبين أن حكمهم بنى على الدرس وبالتالى لم تكن أمامهم مشكلة خاصة باللهجات ففى كل لهجة عيب لغوى أو أكثر ينقص من فصاحتها ... ومن الأمثلة على ذلك : القُطعة وهى لثغة فى بنى طيء : والعنعنة وهى فى بنى تميم ـ والعجعجة فى قضاعة . والكشكشة فى بنى سعد ، والكسكسة فى بنى بكر وتميم ـ والتلتلة فى بهراء ـ والطمطانية والطمطمة فى حمير والوكم لهجة ناس من بكر بن وائل ـ والوهم لغة بنى كلب . والاستنطاء لغة اليمن ، وسعد بن بكر ، وهذيل ، والأزد وقيس والأنصار ... والوتم موجود فى اليمن أيضاً ـ وكذلك الشنشنة واللخلخانية فى العراق ـ والعجرفية فى بنى ضَبَّة ـ والتضجع فى لغة بنى قيس ـ والفشفشة فى تغلب ـ والغمغمة فى قضاعة .. وغير ذلك كثير ..

كما انه من المعلوم لدى الدارسين لفقه اللغة العربية ـ أن اللغة النموذجية أو اللغة الأدبية التى ارتضاها مجتمع الناطقين بالعربية قبل مجيء الاسلام هى التى ترفعت عن كل تلك الخصائص ـ فمعيار الصحة والفصاحة كان موجوداً قبل مجيء الاسلام وقبل النصْر وسيادة بنى قريش ، فلم يكن السبب هو سيادة بنى قريش ولهجتهم بعد انتصار الإسلام على بقية القبائل العربية ولهجاتها ـ ولعلماء العربية القدماء والمحدثين على السواء فى ذلك مباحث على درجة كبيرة من الدقة حاسمة قاطعة .

لغة القرآن معيار الصحة والفصاحة
بالدرس لا بالسيف

مازالت قضية المقالة السابقة لم تستكمل بعد لذلك نتابع مناقشتها ..

تلك القضية التى لها من العجب نصيبها حيث يتهم فيها الدكتور لويس عوض السلف من العلماء بأن منهجهم كان يسير فى ركاب القوة .. وأن انتصار الإسلام وسيادة بنى قريش ولهجتهم ونزول القرآن بلغة قريش فرض عليهم أن يقولوا : «إن لغة قريش هى أرقى لغات العرب .. كما جعلتهم يتخذونها معيار الصحة والفصاحة .. وأن انتصار الإسلام جعلهم يقولون : إن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها وقد ناقشت المقالة السابقة القضية من تلك الزوايا وبقى أن نناقش ما قاله بأن لغة العرب توقيف والرأى الذى يرى فيه الدكتور أنه «لا شك بسبب نزول القرآن بلغة قريش وبسبب سيادة بنى قريش ولهجتهم بعد انتصار الاسلام على بقية القبائل ولهجاتها» . ولأسباب أخرى ذكرها الدكتور على نحو ما سيتبين ..

ونأتى بنص قول الدكتور من صفحتى ٦٧/٦٨ حيث يقول بعد النص السابق مباشرة .

«كذلك واجه فقهاء اللغة العربية مشكلة نشأة اللغة العربية فجعلوها مبحثاً من مباحث علم الكلام لا مبحثاً من مباحث اللغة حين قالوا بأن القرآن قيم غير مخلوق ، وبأن اللغة العربية بالتالى قديمة غير مخلوقة ، واستخلصوا من الآية ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها**﴾ أن اللغة العربية قديمة قدم الجنة أو كما قال ابن فارس فى الصاحبى (إن لغة العرب توقيف ودليل ذلك قوله جل ثناؤه .. « وعلم آدم الأسماء كلها » .. فكان ابن عباس يقول : علمه الأسماء كلها وهى هذه التى يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها) والمقصود بالتوقيف الوحى أو الإلهام وقد اتجه الرأى العام بين فقهاء اللغة هذا الاتجاه الذى فسر نشأة اللغة العربية بأنها وحى أو إلهام من الله لآدم ولم يخرج على هذه الفكرة الكثرة الغالبة من فقهاء اللغة العربية إلاّ ابن جنى الذى دعا إلى أن أصل اللغة تواضع واصطلاح وليس وحياً وتوقيفاً» ..

وأسأل الدكتور :

هل نظرية نشأة اللغة الإنسانية المعروفة لدى اللغويين بنظرية سفر التكوين . والتى لازالت معروفة لديهم حتى الآن بنظرية الأصل الالهى المقدس للغة تختلف فى فكرتها عن النص الذى ذكرته لابن عباس ـ أليس فيها : «ومن الأرض خلق الله كل الدواب وكل الطيور وأحضرها لآدم ليرى بماذا سيسميها وكان اسم كل حيوان وكل طائر هو ما سماه به آدم»

إذن ما معنى قولك : واجه فقهاء اللغة العربية مشكلة نشأة

اللغة ... وبأن القرآن قديم غير مخلوق وبأن اللغة العربية بالتالى قديمة غير مخلوقة .. وأن اللغة العربية قديمة قدم الجنة» ما كل هذا ؟!! وما مبرره ؟!!

الأمر متروك للقارىء يفكر ويتدبر .. وفكر السلف فوق كل ما تريد ..

ونسأل أيضاً :

أليست نظرية سفر التكوين هذه أو نظرية الأصل الالهى المقدس هى نظرية التوقيف عند علماء العرب ؟

هل انتصار الاسلام وسيادة بنى قريش ولهجتهم ونزول القرآن بلغة قريش هو الذى أوجد هذه النظرية فى سفر التكوين أيضاً ؟!!

كان الأمل الا يتبع العلم الهوى !!

وننتقل إلى القول الآتى :

«وقد اتجه الرأى العام بين فقهاء اللغة هذا الاتجاه الذى فسَّر نشأة اللغة العربية بأنها وحى أو إلهام من الله لآدم . ولم يخرج على هذه الفكرة الكثرة الغالبة من فقهاء اللغة العربية إلا ابن جنى الذى دعا إلى أن أصل اللغة تواضع واصطلاح وليس وحياً وتوفيقاً» .

وأقول على رسلك . فما هكذا الأمر... ولا الحقائق العلمية المسطرة فى الكتب .

إن ابن جنى بنصه لم يكن هو أول القائلين بأن أصل اللغة تواضع واصطلاح وإليك ما ذكره ابن جنى فى خصائصه : يقول ابن جنى :

«ذهب قوم إلى أن أصل اللغة لابد فيه من المواضعة ...»

ثم يفسر معنى المواصفة بقوله : «قالوا كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا .

إذن ابن جنى لم يكن هو أول الداعين إلى أن أصل اللغة تواضع واصطلاح ولم يقف وحده فى هذا المذهب مع قلة من تابعيه .. كما جاء عندك ص ٦٨ ـ وإنما هو يذكر مذهباً موجوداً ويفسر رأياً معروفاً وينقل أقوال أصحاب هذا المذهب ـ ولم يصرح ابن جنى بأنه يعتنق هذا المذهب ـ وإنما يمكن أن يفهم فقط ابن جنى يميل له علماً بأن لابن جنى فى نشأة اللغة آراء ومذاهب متعددة تكون نظرية متكاملة .

إذن ليست المسألة مبنية على سر وعقدة لا تحل على حد قولك ص ٦٨ ـ : «إلاّ بفهم تلك الثورة العقائدية الثالثة فى تاريخ الفكر الاسلامى بعد ثورة الخوارج وثورة الشيعة الا وهى ثورة المعتزلة فى مواجهة السنة ..

وأسأل أى ثورة ؟! ! ـ وما دخل الثورات ؟! ! وما لهذا وذاك ؟! !

وما دخل المعتزلة ؟! ! ـ وماذا تقصد من قولك «فى مواجهة السنة ..

وما علاقة الخوارج والشيعة ؟! ! بهذا أو ذاك كله ؟! !

بنيت القضية من أساسها على باطل ..

فلم يتجه الرأى العام بين فقهاء اللغة هذا الاتجاه الذى فسر نشأة اللغة العربية بأنها وحى أو إلهام من الله لآدم ـ كما تقول ..

.. وكذلك ليس ابن جنى هو الذى خرج على هذه الكثرة

الغالبة ودعا إلى أن أصلها تواضع كما ترى ـ فالثابت عكس ذلك تماماً ـ فى كل كتب الأولين وإليك ما قاله ابن سيده فى كتابه المخصص ط أولى/الأميرية ص ٣ حيث يقول بالحرف : «وقد اختلفوا فى اللغة امتواطأ عليها أم ملهم إليها وهذا موضع يحتاج إلى فضل تأمل غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحى ولا توقيف.

فأبن سيده المتوفى سنة ٤٥٩هـ يقول إن أكثر أهل النظر من العلماء السابقين عليه والمعاصرين له على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحى ولا توقيف أعد القول : (**أكثر أهل النظر**) «تواضع» وابن جنى يقول بالنص ذهب قوم إلى أن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة ـ وأعد قوله «قالوا كأن يجتمع ... الخ»

أضف إلى ذلك أن ابن جنى لم يُبْدِ رأيه بصراحة فى أن اللغة مواضعة وان كان المطلع على ما كتبه ابن جنى يرى أنه يميل بوضوح إلى القول بأن اللغة تواضع واصطلاح .. (وأقوال ابن جنى واضحة وليست بعيدة إنها بين أيدينا) ومعنى ذلك أن الرأى ليس رأى ابن جنى وهو نفسه لم ينسبه لنفسه وإنما يعرض آراء العلماء السابقين عليه هذا بالاضافة إلى أن هناك نظريات كثيرة متعددة حول مبحث نشأة اللغة موجودة فى كتب التراث وسوف نشير إليها إشارات سريعة لبيان أن حقل الدراسات اللغوية العربية به نظريات متعددة ـ وليست نظرية التوفيق أو الوحى والالهام فقط التى خرج عليها ابن جنى (وكاد يقف وحده كما جاء عندك) ولبيان أيضاً أن مباحثها فى علوم اللغة وكتبها وليست كما ترى مبحثاً (من مباحث علم الكلام لا

مبحثاً من مباحث علوم اللغة) ..

ولنرى ماذا أنت قائل فى الحكم الذى أصدرته والذى تقول فيه :

«لكن حقيقة الأمر فى تقديرى أن رأى ابن جنى فى اللغة جزء لا يتجزأ من مذهب المعتزلة فهو متضمن فى نظرية المعتزلة بأن القرآن مخلوق وليس قديماً وبالتالى فإن اللغة بما فيها اللغة العربية مخلوقة وليست قديمة ـ وبأن الاختيار لا الجبر هو منطق العلاقة بين الله والإنسان ـ فالانسان مخير لا مسير نعم ـ لا سبيل إلى فهم نظرية ابن جنى فى نشأة اللغة من التواضع والاصطلاح لا من الوحى والالهام إلا بفهم تلك الثورة العقائدية الثالثة فى تاريخ الفكر الاسلامى بعد ثورة الخوارج وثورة الشيعة الا وهى ثورة المعتزلة فى مواجهة السنة» (هذا قول الدكتور) وأسأل :

ما كل هذا أيها الدكتور ؟!

لماذا أتيت بكل هذا هنا ؟!

ما دخله ؟! ما دوره ؟!

ماذا تريد أن تقول ؟!

الأمر متروك لك وللقارئين ـ وما تخفيه من ناحية يبدو من ناحية أخرى فقولك يفضحك !!

غير أنى أعرض آراء علماء العربية حول مبحث نشأة اللغة حتى يرى القارئ أن الأمر ليس كما تقول نظرية واحدة لم يخرج عليها غير ابن جنى .. بل هناك نظريات كثيرة متعددة نشير إليها إشارات سريعة .

١ ـ هناك نظرية التوقيف أو الأصل الإلهى أو الإلهام وهى موجودة منذ اليونان وإلى اليوم قال بها هيراقليطس

ويقول بها فى العصر الحديث الأب لامى Lami فى كتابه فن الكلام L'Art de parler والفيلسوف دوبونالد De Bonald فى كتابه التشريع القديم Legislative Primitive فهل فرض هذا عليهم نزول القرآن بلغة قريش ؟ !

٢ ـ وهناك نظرية المواضعة والاصطلاح ..

٣ ـ وهناك النظرية التى تسمى نظرية التوزيع ـ والتى يرى أصحابها أن بعض ألفاظ اللغة من عند الله ومن وضعه ، وبعضها الآخر من وضع الإنسان فالآراء فيها تجمع بين آراء النظريتين السابقتين .

٤ ـ وهناك نظرية أسماء الأصوات أو محاكاتها ـ وأصحاب هذه النظرية يرون أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعة كدوى الريح وخرير الماء ونزيب الظبى وشحيج الحمار وصهيل الفرس ونعيق الغراب ـ وبطريقة تقليد الأصوات تولدت اللغات بعد ذلك فيما بعد ـ وذكرها ابن جنى أيضا ومال إليها .

٥ ـ وهناك نظرية أن الألفاظ توحى بمعانيها أو بجملها فى أنفسها وأنها تدل عليها بذواتها ومن أمثلة ذلك قولهم : كأنهم توهموا فى صوت الجندب استطالة ومد فقالوا : صر ـ وتوهموا فى صوت البازى تقطيعاً فقالوا صرصر .. .. إلى آخره .

٦ ـ وهناك نظرية تناقض تلك الخامسة ومؤداها :

«إن الألفاظ المفردة التى هى أوضاع اللغة لم توضع لتعرف بها

معانيها فى أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد وهذا علم شريف وأصل عظيم ـ والدليل على ذلك أننا إن زعمنا أن الألفاظ التى هى أوضاع اللغة إنما وضعت لتعرف بها معانيها لأدى ذلك إلى ما لا يشك عاقل فى استحالته وهو أن يكونوا قد وضعوا للأجناس الأسماء التى وضعوها لها لتعرف بها حتى كأنهم لو لم يكونوا قالوا رجل وفرس ودار لما كان يكون لنا علم بمعانيها ـ وحتى لو لم يكونوا قالوا أفعل لما كنا نعرف الأمر من أصله ولا نجده فى نفوسنا ـ وحتى لو لم يكونوا قد وضعوا الحروف لكنا نجهل معانيها فلا نعقل نفيا ولا نهياً ولا استفهاماً ولا استثناء» ـ

ومؤدى هذه النظرية أن الظروف تحتم على كل جماعة أن تتشكل مع البينه التى هى فيها . وأن تتفاعل مع ما حولها لتسد حاجاتها ومطالب المجتمع فلو لم توجد كلمة رجل وفرس ... فإنها تجد لنفسها ما تدل به عليه ولو لم توجد كلمات أفعل ويفعل ... لبحثت عن كلمات تحقق غرض الأمر والنهى والاستفهام والاستثناء والانكار ... وهكذا إلى آخره ..

أى أن اللغة ضرورة اجتماعية ووظيفة اجتماعية فى نفس الوقت وقريب من افكار هذه النظرية أفكار ابن النديم فى الفهرست اقرأ من ص ٧ .. وهو رأى قريب مما يذهب إليه اللغويون اليوم فهى قضية بحث ونظر وليست قضية نزول القرآن بلغة قريش .

وتلك النظرية الأخيرة فى مجموعها قريبة مما يتجه إليه للغويون المحدثون من أن اللغة ظاهرة إجتماعية تحيا بحياة المجتمع وتتطور بتطوره وتتشكل بالبيئة التى هى فيها فما قولك ؟ ! !

وعموماً نحن لسنا بصدد تقويم تلك النظريات أو مقارنتها بما عند غير علماء العرب وإنما أردنا أن نقول أن فى حقل الدراسات اللغوية العربية نظريات متعددة وأن مباحثها فى علوم اللغة وكتبها وليست هى نظرية التوقيف فقط .

ونسأل الآن :

ما موقفك أنت الآن مما سطرت وكتبت فى كتابك .

١ ـ ما موقفك من قولك : «وقد اتجه الرأى العام بين فقهاء اللغة هذا الاتجا الذى فسر نشأة اللغة العربية بأنها وحى وإلهام من الله لآدم ؟

٢ ـ ما موقفك من قولك بأن ابن جنى هو صاحب نظرية المواضعة والاصطلاح .. ؟!!

٣ ـ ما موقفك مما جاء فى كتابك من أن ابن جنى كان يكاد يقف وحده فى هذا المذهب العلمى ؟!!

٤ ـ ما موقفك من النتائج التى انتهيت إليها والتى تقول فيها :

«لكن حقيقة الأمر فى تقديرى أن رأى ابن جنى فى اللغة جزء لا يتجزأ من مذهب المعتزلة فهو متضمن فى نظرية المعتزلة بأن القرآن مخلوق وليس قديماً وبالتالى فإن اللغة بما فيها اللغة العربية مخلوقة وليست قديمة وبأن الاختيار لا الجبر هو منطق العلاقة بين الله والإنسان فالإنسان مخير لا مسير ـ نعم . لا سبيل إلى فهم نظرية ابن جنى فى نشأة اللغة من التواضع والاصطلاح ـ لا من الوحى والالهام إلا بفهم تلك الثورة العقائدية الثالثة فى تاريخ الفكر الاسلامى بعد ثورة الخوارج وثورة الشيعة ألا وهى ثورة المعتزلة فى

مواجهة السنة»

ما موقفك من قولك : «كذلك واجه فقهاء اللغة العربية مشكلة نشأة اللغة العربية فجعلوها مبحثاً من مباحث علم الكلام لا مبحثاً من مباحث علوم اللغة ؟!! ما موقفك ؟!! وما موقفك ؟؟

الكتاب كتابك ..

والآراء آراؤك ..

والموقف موقفك ..

والكتاب منشور بين ايدى الناس .

حينما نتبع مع العلم الهوى تجىء الآراء على نحو ما جاءت فى هذا الكتاب . فالعلم هو الحق .

وليس بعد الحق الا الضلال .. أو كما قال الله تعالى :

﴿فماذا بعد الحق إلاّ الضلال فأنى تصرفون﴾[1]

---

(١) الآية ٣٢ سورة يونس .

الفصل السـادس

مناقشة دعواه حول أصل اللغة العربية وأصل الجنس العربي ـ وتفنيد أقواله الخاصة بأن الجنس العربي من أصل قوقازي وأن اللغة العربية من أصل هندي أوربي ـ إلى آخر ما جاء من دعاوى عن العرب واللغة العربية والحضارة العربية ..

الهدف انتقاص اللغة العربية والحط من كل ما يتصل بها ومناقشة دعواه حول أصل اللغة العربية وأصل الجنس العربى

مفتاح كل ما هو عجيب غريب محير فى كتاب الدكتور لويس عوض مقدمة فى فقه اللغة العربية نجده فى جملة واحدة من أقواله وعلى من يقرأ كتابه أن يضعها نصب عينيه ساعة أن يمسك بكتابه إلى أن ينتهى منه ..

وتلك الجملة هى :

«ليست للغة العربية ، ولا للعرب حضارة ولا عراقة ومن لم يقل بهذا فهو أولاً فى زعم الدكتور وعلى حد قوله : ينسب إلى العرب ولغتهم عراقة ليست لهم ولا لها بين الحضارات القديمة .»

أضف إلى ذلك أنه سيظل أمام مغاليق من الأفكار العجيبة المحيرة المتناقضة الخارجة على كل ما تعارف عليه العلماء والباحثون ...

وأوضح ما يكون ذلك عندما نتناول نظريته التى أقام عليها كتابه ..وجوهر النظرية التى وضعها الدكتور يتصل :

○ بأصل اللغة العربية ....

○ وبأصل الجنس العربى ....

ونبدى هنا ملاحظة يسيرة على آراء الدكتور وأقواله قبل أن نتعرض للتفاصيل ..

○ ○ ○

الدكتور لويس عوض لا يشك أبداً فى أصل بنى إسرائيل ولا فى أن أباهم إبراهيم أبواسحق وجد يعقوب .. ولا يختلف مع أحد فى أن يهود العالم كله أبناء هذا الجد ـ كما لا يجادل أبداً فى نقائهم السلالى ولا فى نقائهم اللغوى على الرغم مما هو معروف من اختلاط بنى إسرائيل بأهل الأرض أجمعين وتشكلهم بكل شكل ومن احتكاك لغتهم بكل لغات البشر ومن تأثرها وتطورها .. بل واندثارها إلى آخر ما هو معروف ...

ولكن موقفه من العرب مخالف تماماً فهو لا يعترف بأنهم أبناء اسماعيل بن إبراهيم إلاّ عندما أراد أن يسدد سهما على نحو ما سنرى ... وما عدا ذلك فهو لا يعرف لهم أصلاً إلاّ أنهم من القوقاز وأنهم نزلوا شبه الجزيرة فى موجتين :

أولاهما : موجة الهكسوس القوقاز الذين طردهم المصريون ونقلوا معهم إلى شبه الجزيرة ما نقلوا عن المصريين من معتقدات دينية ورواسب لغوية مع ما حملوا من لغتهم القوقازية .

ونص قوله بالحرف الواحد ص ٤١/٤٠ ..

«وهؤلاء استطعنا تحديدهم بجحافل الهكسوس المطرودين من مصر فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ولا شك أيضاً أن هؤلاء

الهكسوس أو الأماليك كما تقول التوراة قد نقلوا إلى شبه الجزيرة ما قبلوا عن المصريين من معتقدات دينية ورواسب لغوية مع ما حملوا من لغتهم القوقازية ـ فهم موجة سابقة من موجات القوقاز ـ من مفردات وعادات فى التعبير وربما كانت هذه الموجة الهكسوسية مرحلة الملوك الرعاة ـ تمثل فترتهم الجاهلية الأولى التى يحدثنا عنها التاريخ العربى والأساطير العربية .»

أنظر أيها القارىء : إنه يفترض مجرد افتراض ..

ولكن ليوهم القارىء أن فرضه له سند ـ يقول : كما تقول التوراة وكأن قوله هذا حقائق جاءت فى الكتب المقدسة أو قالت بها التوراة وهو نوع من الخداع ـ لا مكان له ـ على الأقل ـ عند وضع أسس نظرية مفروض أنها علمية .

ثم يأتى بخدعة أخرى توهم القارىء خالى الذهن أنه أمام حقائق ذات جذور فيأتى قوله : «وربما كانت هذه الموجة الهكسوسية مرحلة الملوك الرعاة ـ تمثل فترتهم الجاهلية الأولى التى يحدثنا عنها التاريخ العربى والأساطير العربية فهو يأتى بكلمة (ربما) ليحمى بها نفسه من مناقشة فى افتراض لا أساس له ولا دليل عليه ـ ولم يقل به أحد .. وهذا أيضاً لا مجال له فى وضع أسس نظرية مفروض أنها علمية .

ثم يخلط بين أشياء توهم القارىء لكتابه انه أمام أساطير سمع بها من قبل .. « .. الملوك الرعاة .. الجاهلية الأولى .. الأساطير العربية ـ ومثل هذا مجاله الأساطير الشعبية ـ ولا مكان له فى نظرية مفروض أنها علمية وعلى العموم :

فلسنا الآن بصدد مناقشة صحة النظرية ـ وإنما نحن أمام وقفة

متحيزة من عالم يضع نظرية علمية ـ المطلوب فيها البعد عن التحيز أو التعصب .

ونتابع استكمال البعد الأول من النظرية وهو الخاص بأصل الجنس العربى . وهو كما يرى الدكتور ثمّ واكتمل بموجة ثانية متأخرة جداً نزلت على شبه الجزيرة من القوقاز أيضاً .

فالعرب فى رأى الدكتور جنس قوقازى منذ بداية أمرهم إلى منتهاهم فهم فى بدء أمرهم من فلول الهكسوس القوقاز المطرودين من المصريين ـ وهم فى منتهاهم موجة من القوقاز ـ وهم فى الحالتين لغتهم قوقازية متفرعة من المجموعة الهندية الأوربية ـ ونص قوله بالحرف الواحد ص ٤٠ :

«فالعرب إذن موجة متأخرة جداً من الموجات التى نزلت على شبه الجزيرة من القوقاز والمنطقة المحيطة ببحر قزوين والبحر الأسود نحو ١٠٠٠ ق . م أو قبيل ذلك ـ ولعلها لم تستقر فى مكان ما فى بلاد ما بين النهرين أوفى الشام الكبير لأنها وجدت فى هذه وتلك أقواماً منظمة أقوى منها بأسا وأعلى حضارة فنفذت إلى الفراغ الكبير فى شبه الجزيرة من طريق بادية الشام حاملة معها لغتها القوقازية المتفرعة من المجموعة الهندية الأوربية . أو لعلها آثرت حياة البداوة والرعى والتجارة التى ألفتها فى مهدها الجبلى الأول على حياة الاستفلاح والاستقرار ففضلت الحرية فى شبه الجزيرة على القيد فى وديان الأنهار ـ مكتفية بروابط العصبية أو القومية كأساس للتماسك الاجتماعى عن الارتباط ـ سجن المتحضرين ـ على رأى ابن خلدون » .

والدكتور يلجأ هنا لعدة خدع يوهم بها القارىء أن لافتراضاته سنداً ـ فهو عندما يقول مثلاً ـ على رأى ابن خلدون ـ يجعل القارىء يظن أن قوله حقيقة يؤيده فيها ابن خلدون .

وهذا نوع من الخداع ـ لا مكان له على الأقل عند وضع أسس نظرية مفروض أنها علمية ـ

واعد نظرك على قوله السابق ـ وانظر كم مرة جاءت كلمة (لعلَّ ليحمى بها نفسه من افتراض لا أساس له . ولا دليل عليه ـ ولم يقل به أحد وهذا أيضاً لا مجال له فى وضع أسس نظرية مفروض أنها علمية ـ ثم أنظر أيها القارىء مدى الحنكة عندما يدس السم فى العسل أقرأ قوله وتأمله : «ففضلت الحرية فى شبه الجزيرة على القيد فى وديان الأنهار إنه يوهم القارىء خالى الذهن أن العرب يفضلون الحرية فى شبه الجزيرة على القيد فى حياة الوديان ـ فيبتلعون عندئذ السم السابق فى قوله : «لأنها وجدت فى هذه وتلك أقواما منظمة أقوى منها بأسا وأعلى حضارة» وذلك هو مفتاح كتابه «ليست للغة العربية ولا للعرب حضارة ولا عراقة» .

ثم استكمل قوله السابق مباشرة «مكتفية بروابط العصبية ـ أو القومية ثم أنظر كيف يجعل الرباط رباط عصبية أو قومية .

ثم أعد النظر فى مفهوم تلك العصبية ـ إنها القومية العربية التى ينادى بها المنادى (فحرية العرب نقص من حضارتهم ـ وقوميتهم عصبية وعنصرية) : تلك أعماق فكر من يضع نظرية أصل الجنس العربى ولغته . وإن صرفنا النظر مؤقتاً عن مناقشة صحة النظرية . ألسنا أمام وقفة متحيزة من باحث يضع نظرية علمية المطلوب

فيها البعد عن التحيز أو التعصب .

أيها القارىء قد يبدو الأمر هنا غريبا محيراً .. ولكن لا داعى للحيرة ...

فمفتاح كل ما هو غريب محير عنده معروف لنا . ونعود للتحدث عن جرهر نظرية الدكتور .

ويحددها نص قوله الآتى حيث يقول ص ٤٢ بالحرف الواحد :

«فالقضية التى حاولت طرحها وإثباتها فى هذا الباب هى أن صلب اللغة العربية ذاته كان من نفس الشجرة التى تفرعت عنها المجموعة الهندية الأوربية حتى قبل هجرة العرب من موطنهم القوقازى إلى شبه الجزيرة التى تحمل الآن أسمهم وبالتالى فإن ما نجده من عناصر غير هندية أوربية هو الدخيل وليس صلب الأصلاب .» .

ومن حق الدكتور أن يضع من النظريات ما يشاء ، وأن يقول ما يحب فى العرب وفى اللغة العربية ... ولكن على أن يأتينا بالأدلة المقنعة وبنوع خاص فيما يخالف فيه ما استقر عليه عرف العلماء من أمور مقررة فى الدراسات .. تؤيدها نظريات موثقة مدعمة بأدلة ثابتة ذات أبعاد معروفة للدارسين فى العالم .. على نحو ما سيتضح ..

أما إذا جاءت اجتهاداته غير مدعمة بالأدلة والبراهين فسيحكم عليها حكمه هو على اجتهادات غيره عندما تعارضت معه بقوله (ص ٦) : «هى اجتهادات تدخل فى حكم الأساطير .»

والدكتور يخرج هنا على ما هو ثابت ومعروف لدى العلماء ...

○ من أن جزيرة العرب كانت مهد هجرات منها وليست إليها ...

○ وأن حضارات الساحل الشرقى للبحر المتوسط كانت ثمرة نزوح الفائض من بدو صحراء شبه الجزيرة .

ونقف أمام تلك الحقيقتين مع الدكتور ..

ونترك مؤقتاً ما خرج عليه مما هو ثابت لدى الدارسين بالأدلة مما يتصل بأصل اللغة العربية ...

وأنها أقرب اللغات فى العائلة السامية من اللغة السامية الأم وأن ذلك راجع فى نظر العلماء لنقائها بسبب عزلتها داخل الصحراء وبعدها عن الاحتكاك بغيرها .

ولكننا أمام تساؤل لا مفر منه يطرح نفسه بنفسه . وهو :

هل نطرح نظريات العلماء ذات الأبعاد الثابتة المستقرة التى قال بها عدد من العلماء ونرميها بعيداً لنتمسك بنظرية قامت على : «ربما» و «لعل» التى يحركها التعصب ويملؤها التَّحيُّز ويعصف بها الهوى ... ؟؟ ! ! !

أنظر كيف يعرض الدكتور نظريات العلماء السابقين عليه يقول ص ٢٤ :

«هناك رأى عند فريق من العلماء يمثله كيتانى (Caetani) يقول بأن شبه جزيرة العرب كانت مهدا للشعوب السامية ـ وفى رأى كيتانى أن حضارات الهلال الخصيب من العراق إلى الشام الكبير أى الساحل الشرقى للبحر المتوسط ذات الخصائص السامية ليست إلاّ ثمرة نزوح الفائض من بدو الصحراء إلى وادى الفرات وإلى الشام حيث استقر البدو فى المدن واستفحلوا فى القرى ـ ويؤيد هذا الرأى س . موسكاتى (S. Miscati) فى بحثه

(Chi Furonr gli Semeti?) الصادر فى سنة ١٩٥٧ » ..

كما يقول ص ٢٤/٢٥ :

«وقد ذهب بعض العلماء إلى افتراض أن شبه جزيرة العرب كانت فى زمن قديم موغل فى القدم أكثر خصوبة مما هى ثم أصابها الجفاف فأدى ذلك إلى هجرة سكانها الأصليين إلى وديان الأنهار والسهول المحيطة بشبه الجزيرة .»

الدكتور لا تعجبه نظريات هؤلاء العلماء على الرغم من أنها آراء وأبحاث فريق من العلماء وليست رأى عالم واحد !!

وعلى الرغم من أن البحث من حولها متجدد وآخره صدر سنة ١٩٥٧ ومازال إلى اليوم وعلى الرغم من اتحاد وجهة نظر العلماء رغم تعددهم واختلاف مواطنهم ويرفضها ويرى أنها افتراضات لا معنى لها .

وأنها تشنجات علينا أن نتركها ..

ويقول بالحرف الواحد ص ٢٥ :

«ولكن كل هذه الافتراضات لا معنى لها خارج الانثروبولوجيا الطبيعية ..»

كما يقول أيضاً بالحرف الواحد ص ٢٥ :

«فلنترك هذه التشنجات البشرية الى تحتاج فى تفسيرها إلى تشنجات جيولوجية أو أيكولوجية ..»

وأضع بين أيدى القارئين أقوال الدكتور هذه ليعيدوا النظر عليها ويتأملوها ويمنعوا الفكر فيها ...

فبين أقواله ما يهدم بعضه البعض .

واكتفى بأن أتساءل :

○ هل كل أقوال هؤلاء العلماء افتراضات لا معنى لها ...؟! (على حد قول الدكتور) وقول الدكتور وحده الذى بدأه بكلمة (ربما) . وملأه بكلمات (لعل) وحشاه بالمغالطات والخدع هو الافتراض الصحيح الوحيد صاحب المعنى الذى نأخذ به .

○ هل نترك أقوال هؤلاء العلماء كلهم لأنها على حد قوله تشنجات بشرية ؟!!

○ ألا يحق لنا أن نتساءل لماذا يتشنج هؤلاء العلماء كلهم ؟! أمن أجل العرب ولغتهم ؟!

○ هل دفعهم التعصب الأعمى لهذا التشنج .

○ أو أن الدكتور أسقط ما فى نفسه كما يقول علماء النفس فهو يعلم أن نظريته تشنجات بشرية فاسقطها على نظريات العلماء وجعلها تشنجات ونسى أن يقول أن سببها التحيز والتعصب .

○ ○ ○

نظريات العلماء كلها تقول إن العربية والعبرية والفينيقية والآشورية والبابلية والجعزية والبونية ... ... إلخ من أصل واحد هو الشجرة السامية .

○ هل يصرح الدكتور بأن اللغة العبرية وهى أخت اللغة العربية من أصل قوقازى كذلك ؟ وأن بنى اسرائيل من أصل قوقازى أيضاً ؟! إذن كم عدد موجات الهجرة التى تكون منها بنى إسرائيل ؟ من الأصل القوقازى ؟!

حتى لا نتعب الدكتور لسنا فى انتظار جواب منه على هذا ـ

فالأمر معروف لنا انه التحيز ضد اللغة العربية من عالم يصنع نظرية فيها ، أمر غريب ، ولكن مفتاح كل ما هو غريب محير معروف لنا .

إنه انتقاص اللغة العربية والحط من كل ما يتصل بها .

«ومن لم يقل بذلك فهو ينسب إلى العرب ولغتهم عراقة ليست لهم ولا لها» على حد قوله وسيظل أمام مغاليق من الأفكار الخارجة على ما تعارف عليه العلماء والباحثون .

الهدف انتقاص اللغة العربية
والحط من كل ما يتصل بها ..
ومناقشة دعواه حول أصل اللغة العربية وأصل الجنس العربى

نستكمل فى مقالة اليوم حديثنا فى المقالة السابقة عن مفتاح كتاب الدكتور لويس عوض . ونحن مازلنا مع النقطة الخاصة بجوهر نظرية الدكتور التى تتصل :

- بأصل اللغة العربية ..
- وبأصل الجنس العربى ..

والدكتور يخالف العلماء فى افتراضاته .

ويخرج على مناهج الدراسة المعروفة لديهم وليوضح نظريته لقارىء كتابه وهى أن :

- اللغة العربية لغة قوقازية وأن جذورها هندية أوربية ..
- وأن الجنس العربى قوقازى .

يقول ص ٣١ :

«ولن نستطيع أن نفسر ظاهرة تكوين اللغة العربية من عناصر

مشتركة فى الجذور مع اللغات الهندية الأوربية إلاّ إذا افترضنا أن التكوين السكانى لشبه الجزيرة لم يكن فيضاناً سكانياً من داخل شبه الجزيرة إلى خارجها أو حوافيها المحيطة بها ، ولكن كان فيضاناً من خارج شبه الجزيرة إلى داخلها» .

وبالاضافة للمخالفات السابقة لآراء العلماء ونظرياتهم فإنه هنا :

يفترض أن اللغة العربية تكونت من عناصر مشتركة فى الجذور من اللغات الهندية الأوربية وهذا الافتراض مخالف للنظريات العلمية ولما عليه الدراسات اللغوية الحديثة ..

فاللغة العربية فرع من اللغات السامية ، وهى تعد عند اللغويين من أنقى الساميات بسبب عزلتها لذلك فهى تحتفظ بخصائص السامية الأم .

ومنهج الدراسات اللغوية الحديثة فى تفسير ظواهرها هو أن تدرس فى ضوء الساميات ..

ولكن الدكتور خرج على هذا المنهج فى تفسير ظواهرها لحاجات فى نفسه .. وتتضح خطورة الخروج على المنهج العلمى فى النتائج والأعمال ، وفى أقوال الدكتور نفسه ما يوضح ذلك . فهو يقرر أنه لا يستطيع أن يفسر افتراضه هذا ...

إلاّ إذا لوى حقائق علمية أخرى .

وإلاّ إذا افترض افتراضات أخرى مخالفة لآراء العلماء ونظرياتهم . أعد قراءة قوله :

«ولن نستطيع أن نفسر ظاهرة تكوين اللغة العربية من عناصر

مشتركة ..» « .. الا اذا افترضنا أن التكوين السكانى لشبه الجزيرة لم يكن فيضانا سكانياً من شبه الجزيرة» .. وهذا هو المعروف لدى العلماء .

«.. ولكن فيضا من خارج شبه الجزيرة إلى داخلها» . وهذا افتراض آخر مخالف ..

ثم يأتى بافتراض فوق كل ما سبق :

وهو أن يكون من القوقاز .

وأسأل : هل ما يتوصل إليه الدكتور بعد ذلك يكون قد أقامه على أساس ؟! هل يستطيع أحد أن يفسر الظواهر على غير سننها ؟! وبعد ذلك يكون قد انتهى إلى نتائج .. وهل يترك الناس الزرع والضرع والثمار وضفاف الأنهار ويذهبون إلى القحط والجدب ويفيضون فيضانا سكانيا من خارج الجزيرة إلى داخلها ! ؟؟

وقد تأخذ القارىء الحيرة ..

ولكن لا داعى للتحير..

فمفتاح كل ما هو محير معروف لنا ..

إنه انتقاص اللغة العربية للحط من كل ما يتصل بها ..

لذا فقد حاق بالعمل سوؤه .

وننتقل إلى نقطة أخرى تتصل بصلب ما نحن بصدده تحمل عدة قضايا نكتفى ببعض منها :

حيث جاء ص ٢٧ نص القول الآتى :

«فالمصريون وعامة سكان إفريقيا على سبيل المثال ينتمون سلاليا إلى عنصر غير عربى . ومع ذلك فقد قبلوا اللغة العربية حين قبلوا

ثقافة الإسلام . بل إن اقباط مصر لم يقبلوا ثقافة الاسلام وقبلوا اللغة العربية لأنها غدت لغة مصر القومية .. وحين واجهوا مشكلة الاختيار بين الوحدة القومية فى اللغة والانشقاق القومى باللغة آثروا الوحدة على الانشقاق . وبالمثل فإن المصريين المسلمين رغم قبولهم للثقافة الإسلامية لم يأخذوا اللغة العربية مأخذا حرفيا وإنما امتصوا فيها الكثير من عناصر اللغة القبطية وهى مرحلة من مراحل اللغة المصرية القديمة الديموطيقية . أى العامية التى كانوا يتكلمونها قبل دخولهم الإسلام . وهكذا ظهرت بين الكافة من المصريين العامية المصرية التى كان عمودها الفقرى من اللغة العربية ونسيج لحمتها من اللغة المصرية القديمة» .

وفى هذا القول عدة قضايا وهى أمام القارىء يطيل فيها النظر ..

ونشير إلى بعض منها :

○ المصريون وعامة سكان شمال إفريقيا قبلوا اللغة العربية حين قبلوا ثقافة الاسلام ..

○ أقباط مصر لم يقبلوا ثقافة الإسلام وقبلوا اللغة العربية .

○ المصريون المسلمون رغم قبولهم الثقافة الإسلامية لم يأخذوا اللغة العربية مأخذا حرفيا .

○ العامية المصرية عمودها الفقرى من اللغة العربية ونسيج لحمتها من اللغة المصرية القديمة (الديموطيقية أى العامية التى كانوا يتكلمونها قبل دخولهم الإسلام) .

وقبل أن نتساءل علينا أن نعلم جيدا أن عالما له إمكانيات

الدكتور لويس عوض حين يصدر عنه قول فهو يعنى كل حرف فيه ـ وحين يصوغ صياغة فهو يقصد كل ما وراءها ويهدف إلى كل معطياتها .

ونسأل الدكتور :

○ كيف أن أقباط مصر لم يقبلوا ثقافة الإسلام وقبلوا اللغة العربية؟!

○ هل فى الثقافة تمييز؟! هل عندما تشرق الشمس تفرق بين قوم وقوم؟

○ فى أى عصر من عصور الإسلام فى مصر رفضت ثقافة الإسلام؟

وممن؟! وكيف؟! ولماذا؟! وهل كان فى مصر غير ثقافة الإسلام؟ أليس قولك ذلك مخالفاً للحقيقة تماماً ولما هو ثابت ومسطور فى الكتب!!

ألم تنتشر ثقافة الإسلام فى ربوع العالم؟!

ألم تتخذ الحضارة الأوبية الحديثة منها نقطة انطلاق لها.؟!

أنت نفسك هل قبلت العربية ورفضت ثقافة الإسلام؟!

كتابك الذى بين أيدينا دليل وحجة عليك.

وأنت نفسك دليل وحجة على نفسك.

وندع تلك النقطة. ومفتاحها معروف لنا إنه الحط من اللغة العربية ومما يتصل بها.

ثم نسأل :

كيف أن المصريين المسلمين قبلوا ثقافة الإسلام ولم يأخذوا اللغة العربية.. وأقباط مصر لم يقبلوا ثقافة الاسلام وقبلوا اللغة العربية..

ماذا تقصد من وراء هذا ؟!

ما كل هذه التقسيمات ؟!

هل شيء من هذا بيننا ؟!

أيسطر مثل هذا فى كتاب يبقى وثيقة غدا وبعد غد . خاصة وهو يعرض على عقول غضة . ويقرؤه من ليسوا بيننا ..

الأمر أمام القارئين .

وندع تلك أيضاً ونسأل :

○ ما معنى أن نسيج لحمة العامية المصرية من المصرية القديمة ؟!

إن العامية المصرية عمودها الفقرى ولحمتها وسداها لهجة عربية . تلك حقيقة لا يختلف من حولها أى لغوى فى العالم .

هل وجود بعض الدخيل بها من المصرية القديمة يجعل نسيج لحمتها من المصرية القديمة (الديموطيقية) ؟

أليس بها دخيل من التركية والتترية والفارسية والايطالية والفرنسية والانجليزية ؟ وماذا فى هذا ؟

○ تلك سنن اللغات واللهجات عندما يحدث بينها صراع أو احتكاك تأخذ وتعطى وتترك كل واحدة آثارها فى الأخرى .

○ والباحثون فى اللغة الانجليزية يؤكدون أن بها قدرًا كبيرا من الكلمات ذات الأصول العربية التى يصل بها بعضهم إلى بضع مئات .

○ وبيرجيرو الكاتب الفرنسى قدم قائمة فى كتابه عن الكلمات الأجنبية من مائتين وثمانين كلمة دخلت من العربية إلى الفرنسية ووزعها على تواريخ افتراضها وقد وصل بعضهم بهذا العدد إلى

اضعافه .

○ وفى معجم ذوزى قائمة بالكلمات التى دخلت اللغات الأوربية من العربية ..

○ معجم انجلمان الذى أتمه دوزى كله من الألفاظ الاسبانية والبرتغالية التى هى من أصل عربى .

○ وقد جمع الأتراك معجما فى عهد السلطان عبدالمجيد اسموه «لغات عثمانية» به كل الكلمات العربية الدخيلة فى التركية ـ وكذلك فى المعاجم الفارسية الدخيل من العربية يميز بحرف (ع) يعنى عربى وهو كما نعلم كثير وكثير جدا ..

○ هل يمكن أن نقول إن كل تلك اللغات نسيج لحمتها من اللغة العربية ..

○ أو نقول أن هذه اللغات من أصل سامى لأن بها من العربية . والعربية سامية أى على نحو ما توصلت أنت إلى أن العربية هندية أوربية ؟

○ أو يمكن أن نعقد موازنات بين كل هذا الدخيل لنثبت أنه من أصل واحد ثم تنتهى إلى أن اللغة العربية هندية أوربية لوجود مثل هذا فى اللغات الهندية الأوربية على نحو ما صنعت فى كتابك ؟

أعد النظر فيه .

فالكتاب كتابك .

وندع تلك النقطة وهى أمام القارىء وقد يستهويه الوقوف أمامها وله ما يشاء .. وننتقل إلى نقطة أخرى تتصل بما نحن بصدده . وإن كانت تبعد بعض الشىء عن التى تركناها وقبل أن

نعرضها نذكر بحقيقة موقف الدكتور المتحيز عندما يتعرض لأصل بنى إسرائيل ونقائهم السلالى واللغوى وللعرب وأصلهم ولغتهم ونستمع إلى الدكتور وهو يتحدث عن العرب واللغة العربية يقول ص ٢٩ :

«فإذا ما نحن طبقنا هذا التحليل على العرب واللغة العربية وجب علينا أن نقف موقف الحذر من نظريات النقاء السلالى والنقاء اللغوى حتى فى العصر الأموى الكلاسيكى وفى قريش ذاتها» .

وأسأل الدكتور :

لماذا تقف هذا الموقف الحذر من العرب واللغة العربية ؟!

العرب فى عزلة الصحراء بعيدين عن كل احتكاك واختلاط .

ونسأل أيضا :

كيف تقف من قريش ذاتها موقفك الحذر هذا ؟!

من ذا الذى يجهل الأنساب عند العرب وفى قريش بالذات ويكتب فى فقه اللغة العربية ؟!

حقيقة استقر عليها الدارسون .

كيف نهدم دون دليل أو بينة ؟! ما عدتك وما دليلك ؟!

قريش واسماعيل بن ابراهيم و (محمد بن الذبيحين) .. اسماعيل وعبد الله .

ما الفرق بين هذا وبين ما يدعيه بنو اسرائيل لأنفسهم من نسب ومن نقاء ؟!

لا داعى للحيرة ..

فإن للدكتور هنا موقفاً متحيزاً .

ومفتاحه معروف لنا .

وندع تلك النقطة لنستكمل موقف الدكتور من تلك القضية فى موقف آخر حيث يقول ص ٩ :

«وعلى كل فإن عرب الشمال المستعربة ينسبون أنفسهم إلى اسماعيل ابن ابراهيم الخليل عن طريق عدنان ومضر وفى روايات أنهم من عدنان ومضر دون ذكر اسماعيل بن إبراهيم .

وانتساب عرب الشمال إلى اسماعيل يجعلهم أبناء عمومة بنى إسرائيل أو بتعبير أدق أنصاف أخوة أى أخوة غير أشقاء فالجد الأعلى للطرفين هو إبراهيم أبو اسحق وجد يعقوب (اسرائيل) من جهة وأبو اسماعيل وجد عدنان من جهة أخرى» .

أيها القارىء أعد قوله وتنبه لمدى الصلة التى يعقدها بين العرب وبنى إسرائيل :

«.. بتعبير أدق أنصاف أخوة ـ أى أخوة غير أشقاء فالجد الأعلى للطرفين هو إبراهيم أبواسحق .. الخ»

إنه تأكيد لعمق الصلة وتثبيت لرابطة الأخوة ..

لذا فنحن نريد من الدكتور موقفا واحدا محددا :

هل العرب وبنو اسرائيل جدهم واحد وهو إبراهيم ؟

نعم أوْ لا ..

قولك هنا : نعم .

إذن ما معنى نظريتك وهى أن أصل الجنس العربى قوقازى ؟

وأصل اللغة العربية قوقازية .. ؟

وإن كانوا على حد قولك أنت : بتعبير أدق أنصاف أخوة أى أخوة غير أشقاء . فلماذا تقول ينسبون أنفسهم ؟

أى معناه أنه نسب منتحل ؟

بدليل قولك بعد ذلك :

«وفى روايات أنهم من عدنان ومضر دون ذكر اسماعيل ابن إبراهيم» .

معنى ذلك أنك تقول لا .

إذن أين حقيقة قولك :

«.. بتعبير أدق أنصاف أخوة . أى أخوة غير أشقاء فالجد الأعلى للطرفين هو إبراهيم أبواسحق وجد يعقوب (اسرائيل) من جهة وأبواسماعيل وجد عدنان من جهة أخرى»

هل هناك معنى غير المعنى الذى تعنيه ؟! وقصدت إليه ؟!

موقف غنى عن الشرح يفسده التوضيح .

أين الولاء ؟!!

ندع تلك النقطة مؤقتاً ونكمل ما يتصل بها مما جاء فى ص ٢٣ : فقد جاء بالحرف الواحد :

«من هم العرب إذن وما موقفهم من كل هذا ؟ لقد رأينا كيف أن العرب ظهروا لأول مرة على مسرح التاريخ باسم العرب فى القرن التاسع ق . م وبدءوا التدوين لأول مرة فى القرن الثانى ق . م بالنسبة لعرب الشمال الكاتبين بالأبجدية الآرامية فى صورتها النبطية . وفى القرن السابع ق . م أو حول ذلك بالنسبة لعرب الجنوب سبأ ومعين وقتبان الكاتبين بالخط المسند ، ومهما افترضنا

للعرب وجود قبل ذلك فهو لن يتجاوز بضعة قرون ترجع إلى ١٠٠٠ أو ١٢٠٠ ق . م . فلو كان لهم وجود باسمهم المعروف أيام الصراع العظيم بين المصريين والحيثيين (١٥٥٥ ـ ١٢٧٩ق. م.) أو بين المصريين والميتانى (mitanni) (١٤٥٠ ـ ١٣٦٢ ق. م.) فى العراق . أو بين المصريين وبنى إسرائيل (١٢٢٣ـ١٢١٥) . ق.م ... إلى آخر النص .»

ونكتفى بهذا الجزء والنص أمام القارىء يعيد النظر عليه ويتمعن فيه ـ ونسأل حول الجملة الأولى منه التى يقول فيها :

«لقد رأينا أن العرب ظهروا لأول مرة»

ونقول من الذى رأى ؟

أنت الذى رأيت واستنتجت وحكمت ..

ويكفى أنك استنتجت من الصراع العظيم بين المصريين وغيرهم وعدم اشتراك العرب فيه أو عدم ذكر اسمهم فيه كما تقول زوالهم من الوجود .

○ أما كان الأولى أن تستنتج أن هذا دليل عزلتهم فى صحراتهم تلك العزلة التى منحتهم نقاء سلالياً ولغويا ؟

أيها القارىء لو تأملت وربطت بين النصوص ووضعتها متجاورة لرأيت عجبا .

نص يلغى وجود العرب ولا يجد عليه دليلا زمن وجود بنى اسرائيل وطردهم من مصر . أيام موسى وهارون .

○ ونص يعترف بوجودهم ويجعلهم وبنى اسرائيل أبناء عمومة أو بتعبير أدق أنصاف أخوة أيام إبراهيم واسماعيل .

○ نص يلغى وجودهم أيام موسى وهارون ـ ونص يعترف بوجودهم قبل ذلك بآماد وآماد منذ إبراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط ..

لا داعى للحيرة ..

فمفتاح الموقف معروف لنا ..

النص الأول يتلاءم مع فرصة مواتية لطعنة فوجب أن تسدد العرب أنصاف أخوة لبنى اسرائيل .

ولرابطة الأخوة حقوق ..

جدهم واحد ..

ولعمق الصلة حقوق ...

والنص الآخر يتحدث عن الحضارات القديمة فى المنطقة وعن الصراع فيها وهنا يتطلب مفتاح الكتاب أن يمحو كل وجود للعرب ، وألا يوجد عليه دليل .. أعد قراءة قوله :

«ومهما افترضنا للعرب وجود فى المنطقة قبل ذلك» .. الخ

ولى أن أسأل :

هل الدراسة هنا منزهة عن كل مقصد ؟ ، بعيدة عن التحيز ؟

هل المقدمات والأسس التى بنيت عليها يمكن أن يطمئن إليها دارس ؟

هل النتائج موضع ثقة تؤخذ بالاطمئنان والارتياح ؟

وبعد ..

فإن المقام لا يتسع ولن يتسع وقد يقول قائل : المقام لا يتسع !! ومازلنا فى الصفحات الأولى !! وقد مضت شهور

وشهور . ! !

وأقول : قد بَلَّغْتُ : : وأبرأت ذمتى والأمر لكم وبين أيديكم .. اللهم فاشهد .

والسلام ختام .



الفصـــل الســـابع

المـــلاحـــق

الملاحق قسمان :

القسم الأول من الملاحق :

(أ) مقال الأستاذ رجاء النقاش حول مصادرة كتاب الدكتور لويس عوض . مقدمة فى فقه اللغة العربية .

(ب) التحقيق الصحفى الذى جاء فى مجلة المصور القاهرية حول الموضوع نفسه وهو مصادرة الكتاب والذى جاء تحت عنوان : كتاب أمام القضاء ..

والقسم الثانى من الملاحق رد على مقال :



لماذا تصادر هذه الكتب..
ولماذا لا نواجه الأفكار بالأفكار والعقول بالعقول

رجاء النقاش

الحوار لا المصادرة :

نأتى بعد ذلك إلى الكتاب الثانى وهو «مقدمة فى فقه اللغة العربية للكاتب الكبير الدكتور لويس عوض . وهو أيضاً كتاب بذل فيه مؤلفه جهد سنوات طويلة مضنية ، وصدر الكتاب فى أكثر من ستمائة وخمسين صفحة من الحجم الكبير . **ولقد اتيح لى أن أقرأ هذا الكتاب وهو** «**مخطوط**» بل **لقد تحمست لنشره منذ ما يقرب من عشر سنوات** ، وقدمته إلى صديقى **شهيد الفكر والثقافة المرحوم**[1] الدكتور عبدالوهاب الكيالى ، الذى اغتاله أعداء وطننا منذ شهور قليلة فى مكتبه ببيروت ، واقنعت الكيالى بنشر الكتاب ، فاشتراه بالفعل من الدكتور لويس عوض ، وبدأ يستعد لنشره **رغم اعتراضه على ما كان يتضمنه من آراء**[2] ، ولم يمنعه من ذلك الا صعوبة نشره . لما يمتلىء به من حروف يونانية قديمة ، كان من العسير أن تتوفر فى معظم مطابع الوطن العربى ، ولذلك لم يتمكن

---

(١) خيركم من أهدى إلىَّ عيبى ـ وصديقى من صَدَقَنى لا من صدّقنى .
(٢) مثالب الكتاب لا تخفى على قارئ .

الكيالى من نشر الكتاب بعد محاولات عديدة . واستطاعت هيئة الكتاب فى مصر أن تطبع الكتاب بعد أن تمكنت من توفير الحروف اليونانية القديمة . ولعلها حصلت على هذه الحروف ـ فقط ـ من أجل اصدار هذا الكتاب وحده لأنها حروف «غير متداولة» حتى فى اللغة اليونانية الحديثة نفسها . وصاحب الفضل فى طبع الكتاب هو الشاعر الكبير المرحوم صلاح عبدالصبور . عندما كان رئيساً لهيئة الكتاب فى مصر.

وقد يندهش القارىء بعد ذلك كله . إذا قلت إننى كنت منذ أن قرأت الكتاب مخطوطاً أعارض كل المعارضة ما يطرحه الكتاب من افكار . فالكتاب فى النهاية هو دفاع علمى عن وجهة النظر المعروفة للدكتور لويس عوض . والتى أرفضها كل الرفض جملة وتفصيلاً . وهى وجهة النظر التى تقول : إن الحضارة العربية بأدبها وفلسفتها وعلومها ولغتها وعمرانها وكل شيء فيها ليست حضارة أصيلة . وإنما هى حضارة «منقولة» عن الغرب[1] . وقد ناقشت الجوانب السياسية والفكرية لهذه النظرية فى كتابى «الانعزاليون فى مصر» . ولذلك فلن أعود إلى هذا الجانب من القضية . كما اننى لا أرى أن مقالى اليوم هو المجال المناسب لمناقشة هذه القضية . **فالقضية التى أطرحها . هى حرية الكتاب والمفكرين فى التعبير عن آرائهم**[2] . **حتى لو كان هناك اعتراض على هذ الآراء . حقا إننى**

---

(١) ليس هذا فقط كل ما فى الكتاب من عيوب .
وفى عبارة أن الكتاب دفاع علمى عن وجهة نظر صاحبه مغالطة . والعلم لا يعرف المغالطة الكتاب ينفث سموما ويزرع أحقادا ويثير فتنا .

(٢) مرحباً بحرية الرأى ولكن لا للتضليل والكذب .

واحد من أشد المعارضين والمعترضين على كتاب الدكتور لويس عوض ، وعلى آرائه التى يطرحها فى هذا الكتاب عن اللغة العربية ، ولكننى لا أفهم ولا أوافق أبداً على مصادرة الكتاب .

فالدكتور لويس ليس حزباً ولا دولة ولا يملك قوة مسلحة[1] ، **وإنما يملك قلمه وفكره .**

ومن حق الدكتور لويس أن يعبر عن آرائه ، ولسوف يجد بين المفكرين العرب المعاصرين من ذوى العلم الغزير والكفاءة العالية من يستطيعون التصدى لآرائه وتفنيدها ، ولن يكون الدكتور لويس عوض أخطر نفوذاً لدى الرأى العام الفكرى فى الوطن العربى من طه حسين ، الذى حين أخطأ فى كتابه عن «الشعر الجاهلى» وجد من يردونه ويردون عليه ، وجاءت نتيجة الحوار العنيف بين طه حسين ومعارضيه مكسباً للعقل العربى والثقافة العربية . ولقد «تشكك» الدكتور طه حسين فى «الأدب الجاهلى» وقدم بعض الأدلة على أن هذا الأدب الذى نسميه باسم الأدب الجاهلى ، لا علاقة له بالجاهلية ، بل هو أدب «منتحل» أو «مزيف» ، وكان شك الدكتور طه حسين فى الأدب الجاهلى ، سبباً فى أن يتفرغ بعض العلماء والأدباء لتقديم أدلة علمية بالغة العمق والدقة . ساندت الأدب الجاهلى ، واثبتت وجوده وصدقه ، وكان شك الدكتور طه حسين بأدلته الضعيفة المحدودة ، خيراً على الأدب العربى وتاريخه ، ولم يكن شراً على أحد[2] .

---

(١) هذه مغالطة كبرى الجيوش لا تضلل العقول والتأثير على الفكر يصنع مالا تصنعه الجيوش

(٢) لا وجه هنا للمقارنة الفرق كبير .

الفصحى والفأر الكبير :

على أن الحرب على اللغة العربية بالذات ، ليست جديدة ، وكتاب الدكتور لويس عوض ليس أول كتاب[1] «يحمل» على اللغة العربية ، وإن كان واحداً من أهم الكتب وأخطرها فى هذا المجال فمنذ أواخر القرن الماضى والحملة على اللغة العربية قائمة ، وقد اشترك فيها عدد من كبار علماء اوروبا الذين عملوا فى الشرق ، مثل «سبيتا» الألمانى فى كتابه «قواعد اللغة العامية فى مصر» ، والدكتور «كارل فولرس» الألمانى أيضاً فى كتابه «اللهجة العربية الحديثة فى مصر» ، و «وليم ويلكوكس» الانجليزى فى محاضرته التى كانت بعنوان «لماذا لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين» ، وهذا المستشرق الأخير بالذات ربط «قوة الاختراع عند لمصريين» بضرورة تغيير اللغة العربية والكتابة باللهجة العامية ،حيث قال بصريح العبارة : «إنكم أيها المصريون لن تزالوا قادرين على ايجاد قوة الاختراع لديكم كما فعلت انجلترا ، فإنه يوجد فيكم أناس كثيرون توفرت فيهم الشروط .. الضرورية لذلك .. ولكن بسبب عدم وجود لسان علمى مشهور فيما بينكم ، لم تتحصلوا على شىء ، وأضعتم أعمالكم سدى ، والسبب فى ذلك أن الكتب الدنيوية يؤلفها أربابها بكلام مثل الجبال ، وفى آخر الأمر لا يلد هذا الكلام الصعب إلاّ فأراً صغيراً ، وما نشأ ذلك إلاّ من كون اللسان العلمى غير مشهور فيما بين العامة ، فمجرد وضع الأفكار فى الكتب ـ باللغة

---

(١) ولن يكون آخر كتاب ومصيره مصير سابقته وناطح الصخرة يوهن قرنه .

العربية الفصيحة ـ تموت ولا تعود إلى الحياة . فكأنهم يكفنونها فى الورق ويدفنونها فى جلود ..

والحل عند هذا المستشرق هو فى اللهجة العامية المصرية ... وهكذا يتم انقاذ مصر ـ فى نظره ـ من العروبة ولغتها الفصيحة ، ويتم ـ أيضاً ـ دخولها فى مجال التقدم العصرى الأوروبى .

على أن المسألة لم تقتصر على المستشرقين الأوربيين . فقد كان هناك مفكرون عرب نادوا بنفس الأفكار ، وفى مقدمتهم الكاتب الكبير سلامة موسى الذى صدر سنة ١٩٤٥ كتاباً بعنوان «البلاغة العربية واللغة العصرية» وفى هذا الكتاب يقول بصراحة كاملة :

«نحن بين اختيارين :

١ ـ إما أن نهلك ونبيد ، كما باد الديناصور ، إذا التزمنا عاداتنا الذهنية والاجتماعية والثقافية لا نغيرها .

٢ ـ وإما أن نعين لشعبنا ، وسائر العرب آفاق التطور البشرية ، يتطلعون إليها وينشدونها ويهيئون لها ، فنبقى ونحيا .

ووسيلة البقاء والحياة فى عصرنا هى العلم والصناعة .

ولا سبيل إلى الصناعة بغير العلم .

ولا سبيل إلى العلم بغير الحروف اللاتينية» .

أى أن سلامة موسى يدعو العرب بصراحة إلى تغيير الكتابة بالحروف العربية إلى الكتابة بالحروف اللاتينية كما فعل الأتراك ، فى لغتهم التى كانوا يكتبونها بالحروف العربية ، فغيروا ذلك وكتبوها بالحروف اللاتينية منذ الثلاثينات إلى اليوم ، ولم يستفيدوا من ذلك شيئاً سوى أن يخسروا ارتباطهم بالعالم العربى وفى ذلك للأتراك

خسران مبين[١] .

المجادلة بالحسنى[٢] :

فالدكتور لويس عوض إذن ، يقدم لنا كتابه الكبير «مقدمة فى فقه اللغة العربية» فى نفس الاطار الذى سبقه إليه مفكرون كبار من الشرق والغرب على السواء[٣] ، ومع ذلك لم يطالب أحد بمصادرة كتبهم ، بل لقيت هذه الكتب والآراء مناقشات واسعة عنيفة ، ترد عليها ، وتواجه حجتها بحجج أخرى قوية ، ولم ينهدم صرح اللغة العربية ، لمجرد أن كاتباً كبيراً مثل «سلامة موسى» هاجمها ودعا إلى تغيير حروفها إلى الحروف اللاتينية ، ولم ينهدم صرح اللغة العربية لأن مفكراً انجليزياً ذكياً مثل «ويلكوكس» دعا إلى إحلال العامية محل الفصحى ، كل هذه الآراء واجهتها آراء أخرى ، كسبت للغة العربية حججاً قوية دقيقة ، ساندتها ووقفت فى صفها وجعلت قضيتها أقوى وأشد .

هذا ما يجب أن نفعله مع كتاب الدكتور «لويس عوض»[٤] فالمصادرة لا جدوى منها ولا معنى لها ولا يمكن أن تمنع ما فى الكتاب من أفكار ، ولا أن تقنع أحدا بخطأ هذه الأفكار[٥] ، والطريقة الصحيحة الوحيدة ، هى أن نسمح بظهور الكتاب ، وأن

---

(١) وليت من بيننا يدركون ذلك ويأخذون منه العبرة .
(٢) حق أريد به باطل .
(٣) نعم اطار واحد ولكن السهم مخالف والهدف أبعد .
(٤) على نحو ما صنعت أنت وتصنع أم على أى نحو ؟؟ !!
(٥) ما فى الكتاب من أفكار يقضى بعضها على بعض .

نترك الأمر لعلماء اللغة والسياسة والحضارة ليردوا عليه ، والأمة العربية غنية بالقادرين على محاورة الدكتور لويس عوض بالحجة والعقل والرأى ، مهما كان فى لمثابه من العمق والجهد العلمى[1] ـ والعقل العربى لم يعد قاصراً ، والرأى العام العربى ليس طفلاً صغيراً بحاجة إلى من يحميه بمنع الأفكار عنه خوفاً من الضرر والأذى .

وأكرر هنا أننى اختلف مع الدكتور لويس عوض ، جملة وتفصيلاً ، فى كتابه الكبير ، ولكننى أرى فى نفس الوقت أن المصادرة خطأ ، وفيها الكثير من التجنى على الثقافة العربية المعاصرة ، كما أن من الخطأ أيضاً أن نستسلم ـ بجانب المصادرة ـ إلى ذلك الأسلوب السهل فى وصف رجل مثل الدكتور لويس عوض بأنه «متآمر» وأنه «عميل فكرى» للغرب وما إلى ذلك من الشطط فى الفهم والتقدير والتعبير ، إن المعركة فى جوهرها معركة فكرية ، والدكتور لويس صاحب رأى وجهد واجتهاد ، والحل هو مواجهة رأيه برأى آخر يرد عليه ويفند حججه ويثبت ما فيها من خروج على الصواب .

هذا هو الطريق الصحيح أمام الفكر العربى ولا طريق سواه ، حتى ننهض وننمو ونتقدم .

فالمصادرة لا خير فيها ولا نفع منها .

والحل هو المحاورة ، ومواجهة العقل بالعقل[2] ، والأخذ

---

(١) تذييل غريب يحمل مغالطة شديدة .. هل القارئين أصحاب العقل والرأى يقفون ضد العمق والجهد العلمى .

(٢) هل يقدر نظام آخر وثقافة أخرى غير الثقافة الإسلامية على محاورة المفكر بالفكر ومواجهة العقل بالعقل .. ؟ إنه الدين المتين ـ الخالد ـ وفى هذا معجزته المتجددة .

بالمبدأ القرآنى العظيم :

﴿وجادلهم بالتى هى أحسن﴾ (صدق الله العظيم) .

رجاء النقاش

كتاب أمام القضاء
المصور يحقق قضية مصادرة
كتاب الدكتور لويس عوض
«مقدمة فى فقه اللغة العربية»

الاتـــهام : فى الكتاب هجوم على اللغة العربية والدين ..

دفاع المؤلف : أملك حق الاجتهاد ولكنى لا أدعى العصمة لنفسى ..

---

(١) العدد ٣٠٠٤ ـ ١٣ رجب ١٤٠٢/٧ مايو ١٩٨٢ .

○ ○ لسنا طرفاً[1] فى هذه القضية الصعبة والمعقدة ..

والقضية .. تخص كتاب الدكتور لويس عوض . مقدمة فى فقه اللغة العربية . المعروض أمره على القضاء فى هذه الأيام ..

ورغم هذا . فإنه مهما كان الاختلاف فى وجهات النظر . فإنه يمكن العثور على مساحة تلتقى فيها وجهات النظر هذه .

وهذا ما حاوله المصور هذا الأسبوع ..

حاولنا جمع كافة وجهات النظر ابتداء من لجنة البحوث والنشر فى مجمع البحوث الإسلامية . وواصلنا الرحلة . **استمعنا إلى محامى الدكتور لويس عوض . وإلى آراء توفيق الحكيم . ونجيب محفوظ فى الكتاب**[2] . ثم رأى واحد من أعضاء اللجنة التى شكلها القضاء للفصل فى الكتاب . وأخيراً تكلم الدكتور لويس عوض نفسه ..

كان الحياد . هذه المرة هدفاً وغاية فى حد ذاته فليست لنا مصلحة فى الانحياز[3] الا للحق ، والصالح العام ، أولاً وأخيراً ..

قصة الكتاب من أولها ..

□ فى اليوم التاسع من مايو سنة ١٩٧٨م[4] أبرمت الهيئة المصرية العامة للكتاب عقدا مع الدكتور لويس عوض لنشر كتابه : مقدمة فى فقه اللغة العربية ، وفى أوائل سنة ١٩٨٠ . نشرت الهيئة

---

(١) هذا ما كان ينتظر وما كان يأمله القارئ .

(٢) هنا خداع للقارئ فالذى قدم فى التحقيق رسالة شكر على هدية قدمت وفى كلتيهما مجاملة .

(٣) يكاد المريب أن يقول خذونى .

(٤) من هنا تبدأ المغالطات هدفه الإيهام بأن الكتاب أمره مستقر من قديم .

الكتاب ، وبعد صدوره بحوالى عامين بالتحديد فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٨١ صدر أمر بالضبط للكتاب . وذلك بعد حوالى عامين[١] من نشر الكتاب وتداوله . وكانت إدارة البحوث والنشر فى الأزهر الشريف قد تقدمت بمذكرة فى اليوم السادس من سبتمبر تطلب فيها ضبط الكتاب والتحفظ عليه لحين عرض الأمر على القضاء وفى هذه الحالة فإن موقف القضاء إما أن يؤيد قرار الضبط أو أن يلغيه ـ وفى كلتا الحالتين يكون من حق جهة الادعاء أو المدعى عليه أن يلجأ إلى القضاء متظلما من القرار .

ومن هذه الوقائع تبدأ رحلة البحث عن الحقيقة . أين هى ؟

والأطراف فى هذه المرة أمامنا . الأزهر الشريف . ومؤلف الكتاب الدكتور لويس عوض ومحاميه أحمد شوقى الخطيب . والهيئة المصرية العامة التى نشرت هذا العمل .. من المهم .. أن نعرف أولاً .. من أين يكون البدء فى هذه الرحلة الصعبة ..

الطرف الأول : ماذا يقول ؟

هذا الطرف الأول هو الأزهر الشريف . وقد مثلته فى القضية . إدارة البحث والنشر التى قدمت مذكرة حول مغالطات الكتاب من وجهة نظرها .

فى مجمع البحوث الاسلامية ، كان اللقاء الأول . التقينا بالشيخ سعد عمر . مدير إدارة البحوث . والشيخ عبد المهيمن

---

(١) التركيز على كل كلمة عامين وتجاهل كل ما دار من نقاش ومحاورات بشأنه على ساحة الفكر منذ ظهوره إلى حين محاكمته .

رمحمد الفقى . قالا أن القواعد المتبعة فى الموقف من الكتب الصادرة . إنه ان كان فى هذه الكتب ما يخالف عقيدة التوحيد . أو يمس أصلاً من أصول الإسلام . أو به ما يخالف ما هو معلوم . من أمور الدين . إن كان فى الكتاب أشياء من هذا القبيل . فإنها تكون سبباً كافياً لطلب مصادرة الكتاب فوراً . خصوصاً وان الكتب التى تتعرض لأمور الدين الاسلامى لا تعرض علينا قبل طبعها . وكل الكتب تعرض علينا بعد طبعها وتوزيعها . أو عن طريق أفراد يكونون قد قرأوا الكتاب . أو عن طريق شئون المطبوعات بالداخلية .

ما أن يصل الكتاب إلينا . حتى يتم فحصه . لكى نقدر ما به من المخالفات . وهل نسمح بتداوله من عدمه . ونقوم نحن بتشكيل لجنة متخصصة من كبار العلماء . تقوم بقراءة الكتاب وفحصه . بدقة ثم تكتب تقريراً . بذلك . يتضمن ما تراه اللجنة فى محتويات الكتاب والمخالفات الواضحة والضمنية به . وفى نهاية التقرير توصى اللجنة بالإباحة من عدمها .

بعد ذلك . يعود الكتاب مع التقرير إلى الجهات القضائية .

ونحن هنا . فى إدارة البحث والنشر. من أجل مزيد من التأكد . نعيد دراسة أسباب الخلاف ومطابقتها على مافى الكتاب نفسه . ثم نبدى رأينا بالنشر أو المصادرة . ثم نخطر جهات الأمن المعنية . التى تتولى التحفظ على الكتاب فى كل الأمكنة التى يوجد بها . ولذلك فهو يجمع على الفور من كل المصادر التى يمكن جمعه منها .

وبعد انتهاء الاجراءات . يحدد يوم لحرق الكتاب . فى وجود مندوبى إدارة البحث والنشر والداخلية والمؤلف .

○ ما هى المخالفات الموجودة فى كتاب الدكتور لويس عوض ؟

ـ فى الكتاب مخالفات تنال من الإسلام .

○ من الإسلام أم من اللغة العربية . باعتباره دراسة عن فقه اللغة .. ؟

ـ تنال منهما معاً . من الإسلام ومن اللغة العربية .

○ من الذى فحص الكتاب ؟

ـ تولت ذلك نخبة من علماء الأزهر الشريف .

○ ما هى المخالفات إذن ؟

ـ تناول المؤلف ربط القول بقدم القرآن . فى الاسلام . انطلاقاً من نظرية الليجوس المسيحية . التى تقول بقدم الكلمة . وهو بذلك يعتبر أن القول بقدم القرآن فيقول عن هذه النظرية . ويقول ان علماء الاسلام اجتهدوا فى ان يضعوا نظرية الوحى . فى الاسلام . على طريقة نظرية الليجوس . ويصل إلى أن نظرية الخلق فى الاسلام ما هى «إلاّ كن فيكون» وهى أيضاً ـ صورة لليجوس ـ مرادفة لعبارة روح الله . ككلماته ، والمؤلف يهدف من ذلك إلى القول أو إلى الوصول إلى أن علماء الاسلام . نقلوا عن غيرهم . ما ليس له أصل فى دينهم .

○ هل ذكر المؤلف ذلك صراحة ؟

ـ نعم . وهذا مذكور فى الكتاب فى صفحات ٦٩ ، ٨٥ ، ٨٦ . يضاف إلى تحوير الكتاب لمعنى كلمة صمد . الواردة فى سورة

الاخلاص . من أن القرآن الكريم يجعلها تدل على التثليث . وأنها كلمة غامضة المعنى ومحيرة .

○ وأين ذكر هذا ؟

ـ فى صفحة ٣٠٥ ، حيث قدم المؤلف مقارنة بين كلمتى صمد وخمت المصرية القديمة . وجعل كلا منهما مساوية للأخرى . وذكر أن كلمة خمت المصرية تساوى ثلاثة وعلى ذلك تكون كلمة صمد العربية . تعنى ثلاثة . وفى الكتاب نوع من التهجم على بعض النصوص القرآنية . ووصفه لها بأنها من قبيل التشنجات البشرية وعلى ذلك لا تكون وحياً من عند الله . وقد زعم الكاتب أن الاسلام بنى على العنصرية والطبقية ..

○ أين نص على ذلك ؟

ـ إنه لم ينص على ذلك صراحة خشية الفتنة .

○ ولكن الدكتور لويس عوض يقول فى كتابه . ان الاسلام يتنافى مع التعصب والعنصرية[1] ؟

ـ نعم حدث هذا . وهو يعد تناقضاً من الدكتور مع نفسه من ناحية . ومن ناحية أخرى . فهو يقصد الصاق تهمة العصبية والعنصرية بقريش . وهى القبيلة التى خرج منها الرسول عليه الصلاة والسلام .

○ وماذا فى الكتاب أيضاً ؟

ـ يدعى أن الخوارج والشيعة يمثلان ثورة واحتجاجاً على سيادة

---

(١) انظر هنا المحاورة والمداورة وأعط بالألبقية حواره فيما بعد .

الجنس العربى على الشعوب الاسلامية باسم اللغة والدين . وقد اتهم أئمة الاسلام بالعصبية والعنصرية لمجرد أنهم قالوا إن القرآن يخلو من الألفاظ الأعجمية ، وهذه دعوة خطيرة الهدف منها ترك الباب مفتوحاً لدخول الألفاظ والتراكيب الأعجمية فى اللغة العربية حتى تفقد شخصيتها . والكتاب يدعى أن اللغة العربية ليست أصيلة . وانها متفرعة من المجموعة الهندية الأوربية .

ج هل لديك أى كلام آخر[١] ؟

ـ ما قلته قليل من كثير مما يتضمنه الكتاب ومنه يتضح أن المؤلف بكتابه هذا قصد النيل من الاسلام . واللغة العربية . لغة القرآن الكريم . زاعماً أن ما تضمنه الكتاب هو نتيجة دراسة وعلم وتحقيق .

○ لماذا تأخر التبليغ عن الكتاب[٢] ؟

ـ بمجرد أن علمنا بأمره درسنا الموقف ..

○ ومن الذى أرسل الكتاب لكم ؟

ـ طلبنا من هيئة الكتاب . أن ترسل لنا نسختين من الكتاب واتخذنا معه خطوات الفحص والمصادرة .. مستقبلاً . أفضل وسيلة

---

(١) لو كان محايدا كما يقول لقال قولا آخر .

(٢) هنا تتكرر المغالطة مرتين ـ كان ينبغى الاشارة إلى ما أثير على ساحة الفكر وفى الصحافة بخصوص ما فى هذا الكتاب منذ أن صدر حتى يكون هناك حياد كما يزعم كما كان من الواجب أن يذكر أن الكتاب لم يقدم ولم يظهر إلاّ فى معرض الكتاب فى يناير ١٩٨١ وأن مقالات هذا الكتاب بدأت أولاها فى فبراير ١٩٨١ وأن هذه المقالات وغيرها استمرت على الساحة الفكرية قرابة عام وقضية الكتاب كانت أمام القضاء ١٢ ديسمبر ١٩٨١ ـ ولكنه ـ يتجاهل ذلك تحت مبدأ الحياد .. أليس هو الحياد المنحاز. لاحظ أن تحقيقه هذا سنة ١٩٨٢ ـ أى بعد انتهاء أخر مقالة بعام

لعدم تكرار عمليات المصادرة . هو فرض رقابة مسبقة على المطابع فيما يتعلق بالكتب التى تتعرض للأديان ، لا بد من الحصول أولاً على أصول الكتب ومراجعتها . وعند منح تصاريح الكتب الدينية لا بد من عرض هذه الكتب على الجهات المختصة .

انتهت الأقوال . فى إدارة البحوث والنشر . فى مجمع البحوث الاسلامية ..

وتبقى باقى فصول القصة ..

أطراف القضية كلها يتكلمون ..

أول الذين تكلموا .. كان الدكتور عزالدين اسماعيل .. رئيس مجلس إدارة الهيئة المصرية العامة للكتاب . الذى قال بوضوح تام : نحن لسنا طرفاً فى نزاع . كل ما يحدث إنه يأتى إلينا القرار برصد الكمية . الموجودة من الكتاب المطلوب مصادرته . فنقوم بذلك ونتحفظ على النسخ التى لدينا . ثم يذهب الأمر كله إلى القضاء ..

○ وكتاب الدكتور لويس عوض .. ؟

قال الدكتور عز الدين :

ـ فى سياستنا للنشر هناك كتاب ننشر لهم على مسئوليتنا مثل كبار كتابنا . فهم لهم أسماؤهم ومكانتهم .

الموقف من الكتاب الآن ..

نظرت المحكمة القضية ، كانت هناك أكثر من جلسة ، محامى الدكتور لويس عوض أحمد شوقى الخطيب .. ترافع عن الكتاب .

نظرت القضية لأول مرة فى ٢٣ ديسمبر ١٩٨١ . وتم تأجيلها خمسة عشر يوماً . وفى ١٢ يناير تمت المرافعة . وقررت المحكمة إصدار حكمها فى جلسة ١١ فبراير . ثم أجلت الحكم إلى ٢٥ فبراير .

مفكرو مصر :

ماذا قالوا عن الكتاب ؟

يقول المحامى : إن الكتاب يعالج قضية علمية . أو اجتهاداً علمياً . مضمونه أن اللغة العربية فرع أو رافد من شجرة واحدة . خرجت منها اللغات الهندية والأوربية . وذلك بأسانيد علمية ليست جادة فحسب . بل تبلغ أقصى درجات الجد . استند فيها المؤلف . إلى أصول ثابتة . وإلى مراجع ثابتة لقضية سبق للسلف معالجتها بشكل جزئى .

يقول المحامى :

ـ إن الكتاب لم يطبعه مؤلفه ـ ولا نشره ناشر خاص ـ وإنما الذى قام بطبعه ونشره وتوزيعه وزارة الثقافة . عن طريق إحدى مؤسساتها الرسمية . أو بالأدق المؤسسة الرسمية المختصة بطبع ونشر الكتب بالذات . وهى الهيئة المصرية العامة للكتاب . ومن المستحيل أن تقوم الدولة بطبع كتاب يتضمن مساسا بالنظام العام . بأى صورة . فضلاً عن المساس بالدين . ومن المفروض أن الدولة لا تطبع أى كتاب . إلاّ بعد مراجعة شاملة دقيقة . ليس من أجل أن يكون مع الصالح العام . ولكن ـ من أجل التأكد من أنه ـ أى

الكتاب ـ له قيمة علمية .

ثم أن الكتاب ـ يكمل المحامى ـ قد بقى فى الأسواق عامين تحت سمع وبصر إدارة البحوث والنشر فى الأزهر الشريف . ولم تتقدم هذه الادارة بمذكرتها[1] . الا فى ١٠٨١/٩/٦ .

والسؤال الذى يفرض نفسه فى هذه الحالة : كيف يمكن أن يظل الكتاب متداولاً[2] ـ لمدة عامين تقريباً ـ علناً وفى الأسواق وتحت سمع وبصر الدولة بمختلف أجهزتها ، بل والدولة نفسها هى التى طبعته ونشرته . وهى التى تتولى طوال هذين العامين توزيعه . كيف يحدث هذا ـ ويستمر لمدة عامين ـ لو كان فى الكتاب كلمة واحدة . ولا نقول سطراً واحداً . يطوى على أدنى مساس بالدين أو النظام العام . أو ما يستدعى ضبطه ؟!

---

(١) هل من الحياد أن يكون الخصم هو الحكم وأنه يأخذ من أقوال المحامى عن الكتاب الحكم على الكتاب ليقدمه للقارئ وللرأى العام تحت مبدأ الحياد أو من التضليل وخداع الرأى العام .
وهل المحامى عن الكتاب هو أول نموذج لمفكرى مصر ؟
هل هذا هو الحياد ؟
هل هذا تبصير الرأى العام وتنويره ؟
أهو الحياد والتنوير .. أم هو الانحياز والتضليل ؟

(٢) ماذا ينتظر من المحامى عن الكتاب أن يقول هل يظن أن يذكر ما فى الكتاب من مثالب ويعدد مادار بخصوصه على ساحة الفكر ؟
وهل من الحياد أن يأتى هذا القول مباشرة ولا يدرى القارئ أهو من كلام المحامى أم من كلام صاحب التحقيق إن كان من تتمة قول المحامى لماذا لم تشر إلى مادار على ساحة الفكر بخصوصه طول عامين كما سبقت الإشارة والتعليق والمحاورة ؟ هل هذا هو الحياد . لابد أنه هو .

يقدم المحامى . **وثيقتين**[1] . هامتين عن الكتاب . الأولى رسالة ، موجهة من توفيق الحكيم . إلى الدكتور لويس عوض . والثانية رسالة من نجيب محفوظ إليه . وهما عن رأيهما فى كتابه .

خطاب توفيق الحكيم مؤرخ فى : ١٨ مايو ١٩٨١ . يقول فيه ، موجهاً الخطاب للدكتور لويس عوض :

قرأت كتابك الضخم عن فقه اللغة العربية واعجبت بالاجتهاد مع الصبر الطويل . على صعوبة البحث . من الواضح أنه ليس كتاباً لعامة القراء . بل هو مما لا يتوفر عليه الا الأجلة المتخصصون . ولا شك أن اللغة العربية لجديرة بأن يبحث فى جذورها وأصولها . وفروعها . المفكرون الجادون أمثالك . ولقد سبق أن بحث فى ذلك المفكرون الأقدمون . إلى أن يقول : لذلك سررت . غاية السرور . أن يقوم مفكر مثلك بالبحث فى فقه اللغة ليسير فى طريق الأسلاف الباحثين بهذا الصبر والجلد والاقدام . دون احجام أمام الصعوبات[2] .

أما خطاب نجيب محفوظ فيقول فيه : يسعدنى أن أخبرك . بأننى فرغت اليوم من قراءة كتابك . مقدمة فى فقه اللغات العربية .

---

(١) هل رسالة شكر على كتاب هدية تعتبر وثيقة ؟ ويقال عنها استمعنا إلى آراء ؟ هل استمعنا إلى آراء هذه تمثل الحياد ـ أو تضليل الرأى العام والقارئ العادى ـ هل هذا هو الحياد ـ

(٢) وماذا فى هذا ـ الكل يتمنى أن يرى بحثاً فى فقه اللغة يسير فى طريق الأسلاف الباحثين ـ ولكن أين هو ؟ ! هل هو الحياد ؟ ! ! لماذا لم تشر إلى أن أديب مصر الكبير ليس متخصصاً فى فقه اللغة . وأن المجاملة لا حرمة فيها .

ورغم أن فقه اللغة من المواد **التى أقاربها برفق**[1] ومن بعيد . فقد بهرنى منهجه العلمى ودقته الكبرى . فى البحث والتقصى . وبهرنى أيضاً أن يصدر مثل هذا العمل الفذ فى هذا الجو الثقافى الراكد . فهذه هزة نرجو أن تستمر وتزداد قوة حتى ترجع مصر إلى سابق موقعها العلمى . فى الوسط العربى .

ولعل كثيرين . **يخالفون بعض الآراء . التى وردت فى مقدمة الكتاب . ولكنه الخلاف المثمر . الذى يقضى عادة إلى المعارك الفكرية فنخصب الفكر والبحث وتؤيد قضية حرية الفكر التى طالما أينعت فى مصر.**

وماذا عن الكتاب ؟ .

سألت المحامى[2] :

○ وماذا عما جاء من اتهامات للكتاب :

قال :

ـ المؤلف لم يقل شيئاً . من عنده . وإنما استعرض ماقاله كبار أئمة الفكر العربى والاسلامى . وأمهات كتب الفكر العربى . وكل ذلك ثابت فى لكتاب . الذى يحفل بذكر أمهات الكتب فى كل صفحة من الكتاب . أمثال : تاريخ الطبرى ، مقدمة ابن

(١) لماذا لم نذكر تاريخ رسالة الأستاذ نجيب محفوظ التى تنبأ فيها بالمعارك الفكرية ـ ويختلف ـ الكثيرين لما ورد فى الكتاب من آراء ولماذا لم توضح أن الأديب الكبير ليس متخصصاً فى فقه اللغة وإنما هو يقربه برفق ومن بعيد عى حد عبارته هو؟!

(٢) ولماذا لم تسأل متخصصا فى فقه اللغة العربية ؟ تبيعون على الناس ؟ ولماذا المحامى ؟ وماذا ينتظر منه أن يقول ؟ سامحك الله !!

خلدون . رسالة الغفران للمعرى . المزهر . والكتاب لم يقصر نفسه على موقف فكرى معين . وإنما استعرض سائر المدارس الفكرية . المعروفة . فى الفكر العربى والاسلامى . وفى كل هذه الأفكار . لم يقل أحد ما يمس القرآن الكريم .

○ وماذا عن القول أن الكتاب يهاجم عقيدة التوحيد الاسلامية . والقول أن كلمة صمد فى القرآن تنطوى على مبدأ التثليث .

ـ قال الدكتور لويس عوض فى صفحة ٣٠٦ ما نصه بالحرف الواحد عن كلمة صمد : نادرة الاستعمال . وأشهر استعمال لها . فى الصمدية . ولهذا ربط المفسرون دائماً معناها بتوكيد التوحيد وانكار التثليث[1] .

○ والقول بأن الكتاب يتهم الاسلام بالعنصرية والعصبية ؟

ـ يقول المؤلف فى صفحة ٥٥ . الخلافة أو الأمارة على المؤمنين ليست وراثية . وإنما لمن تختاره الجماعة . ولو كان عبداً أسود .

○ والهجوم على اللهجة القرشية ؟

ـ يقول المؤلف : وقد توسع فقهاء اللغة العربية الأوائل وكثير من المتأخرين . فى اثبات ما جاء فى «الصاحبى» لابن فارس من أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها . وكان عليهم أن يواجهوا مشكلة تعدد لهجات العرب التى كانوا يسمونها لغات . فى الموازنة

---

(١) هنا توكيد التوحيد وإنكار التثليث ـ وهناك معنى التثليث والهدف كلهاالبلبلة ـ لأن السورة كلها توحيد لله فى تنزيه لصفاته عن صفات الخلق الله أحد ـ الله الصمد لم يلد ولم يولد ـ ولم يكن له كفوا أحد ـ لكن هكذا طبيعة اللجج فى الجدال ـ وكان الإنسان أكثر شيء جدلا ـ ينكر الشمس ونورها يخذأ عينيه .

مع لغة قريش كانت أرق لغات العرب . وجعلوا من لغة قريش معيار الصحة والفصاحة وذلك بسبب نزول القرآن بلغة قريش[١] .

○ وماذا عن اتهام أئمة الاسلام كالامام الشافعى بالعنصرية ؟

ـ مذكرة ادارة البحوث . تقول : أن هذا الرأى ورد فى صفحة ٦٥ من الكتاب وبالرجوع إلى نفس الصفحة . لا نجد فيها أى اتهام لأئمة المسلمين بالعنصرية أو غيرها[٢] . وكل ما فيها مجرد استعراض علمى بحت لسلسلة من عيون وامهات الكتب العربية والاسلامية . التى كتبها ائمة الفكر الاسلامى والعربى . والتى رصدوا فيها ما فى اللغة العربية من ألفاظ أجنبية .

المحامى يطلب تشكيل لجنة ..

وكان محامى الدكتور لويس عوض قد تقدم بطلب إلى المحكمة يلتمس تشكيل لجنة لمراجعة الكتاب وبيان ما إذا كان يتضمن أى مساس بالدين . تقدم المحامى بقائمة من أحد عشر اسماً هى من الدكاترة والأساتذة : إبراهيم بيومى مدكور . رئيس مجمع اللغة العربية . أحمد حسن الباقورى عضو المجمع . مصطفى عوض . عضو المجمع . توفيق الحكيم . زكى نجيب محمود . أستاذ الفلسفة . توفيق الطويل . عضو المجمع وأستاذ الفلسفة . عبدالرحمن الشرقاوى . مجدى وهبه عضو المجمع وأستاذ الأدب الانجليزى .

---

(١) هنا يبتر النص ولا يسأله المحايد .

(٢) أسلوب المداورة والمحاورة ـ القضية موجودة أم غير موجودة ! ؟ هذا هو الحياد ! !

محمد زكى العشماوى أستاذ الأدب العربى فى جامعة الاسكندرية ، حسين نصار عميد اداب القاهرة ، حسن ظاظا . أستاذ الساميات فى آداب الاسكندرية .

ورغم أن المحكمة . كانت قد حجزت القضية للحكم . إلاّ أن القاضى أصدر القرار التالى :

○ بعد سماع مرافعة النيابة وأقوال المتهم ومطالعة الأوراق . حكمت المحكمة . قبل الفصل فى الموضوع . بتشكيل لجنة من السادة : الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقورى والأستاذ توفيق الطويل والأستاذ عبدالرحمن الشرقاوى . تكون مهمتها مطالعة كتاب مقدمة فى فقه اللغة العربية للدكتور لويس عوض لبيان ما إذا كان فيه مغالطات دينية أو لغوية يتضمنها الكتاب المذكور . وما إذا كانت هذه المغالطات ـ ان وجدت ـ تخالف نصوص الشريعة الإسلامية . كمصدر للدستور والتشريع وتهجمه على الاسلام والمسلمين . وعلى اللغة العربية والقرآن الكريم من عدمه . وصرحت للجنة المذكورة بسماع أقوال المتهم والشهود . والانتقال إلى أى جهة حكومية . للاطلاع على ما بها من مستندات على أن تقدم تقريرها . خلال شهرين من تاريخه . وعلى النيابة إخطار السادة أعضاء اللجنة لمباشرة المامورية .

أعضاء اللجنة يتكلمون :

عضو واحد من اللجنة تكلم معنا . هو الشيخ أحمد حسن الباقورى .. الدكتور توفيق الطويل رفض الحديث بصورة قاطعة ..

وعبدالرحمن الشرقاوى كان على سفر . ولكن أحمد حسن الباقورى قال :

ــ لم يبلغنى شىء حتى الآن عن هذه اللجنة . وإن كنت قد سمعت بالأمر . بصورة قريبة من الإشاعة . وسأقول رأيى بصراحة . لأننى قد مررت من قبل بقضية مشابهة وهى قضية كتاب فى الشعر الجاهلى للدكتور المرحوم طه حسين . وقضية أخرى للمرحوم الشيخ على عبد الرازق . فى كتابه الاسلام وأصول الحكم . ومع ذلك لم يمت أحد الكتابين . والذى يحيى ويميت هو المناقشة وطلب الحق والحوار .

سألته عن القضية المطروحة الآن على النقاش . وهى قضية كتاب الدكتور لويس عوض .. قال :

ــ لى رأى عام أولاً . وهو أنه لا مفر من دفع الحجة بالحجة . وذلك أقوى من مصادرة الكتاب والاستعانة بالسلطات على أصحاب الآراء المختلفة . ما لم تكن هذه **الآراء المختلفة من شأنها أن تعرض أمر الشعب للخطر . عند ذلك يصبح الأمر أمر طمأنة الأمة ودرء الفتنة . وأنا آسأل هنا سؤالا . لو أن إنسانا راح ينال من النظام الأصلى الذى نقوم عليه . فهل نترك الأمر فوضى أم أن وجدنا نوعاً من التطرف المفضى بالأمة إلى فتنة فماذا نفعل ؟** أولاً من المفروض أن نناقش الحجة بالحجة . وضع الرأى فى مواجهة الرأى . فاذا لم يقتنع المهاجم مثير الفتنة وتمادى فى طغيانه فانك ــ فى هذه الحالة ــ لا تجد من وسيلة سوى المصادرة .

واضرب لك مثالاً . فى أرقى الدول الديمقراطية ــ وهى بريطانيا

بطبيعة الحال ـ ومع ذلك عندما تجرأ انسان ذات يوم وكتب قصةً حول : حياة السيد المسيح الجنسية فقامت الدنيا . وكنت أنا من الذين عاونوا على قيامها ـ لأنى كنت فى لندن حينئذ . وقد صودر الكتاب . هناك فارق جوهرى بين كلام يثير الفتنة وكلام عادى ـ ان توليت الرد على شخص مخطىء ولم يقتنع . فى هذه الحالة . لا يكون هناك مناص من أن أطلب من الرأى العام . الذى يمثل الأمة وهو مجلس الشعب أن يأذن بمصادرة الكتاب .

○ وهل قرأت كتاب الدكتور لويس عوض ؟

ـ لا . لم أقرأه . وبالفعل فقد أهدانى الدكتور لويس عوض هذا الكتاب . بصفته صديقاً ولكنى للأسف لم أقرأه . ويبدو أن أحداً قد استعاره منى .

عموماً . نحن دعاة فكر . الفكر الذى فى حدود القانون والمنطق والحق . بغير باب نفتحه لاثارة فتنة .

○ وما دخل مجلس الشعب فى قضية كتاب[1] ؟

ـ مجلس الشعب هو الذى يقضى فى هذه المسائل . لأنه هو الجهة المأمونة لفتح باب المناقشة ..

وعموماً . نحن كمفكرين . من المفروض الا نستعدى السلطات على آراء الناس . لأن الذى يكون لك اليوم . قد يكون عليك

---

(١) على الرغم من أن الأستاذ الباقورى رحمه الله أوضح له الأمر وضرب له المثل باعرق الدول فى الديمقراطية كما يقولون إلاّ أنه هنا يعود ويسأل سؤاله هذا ويدعى الحياد ! ! ! أعد النظر على بقية المجاورة فيما سبق وهنا وتأمل ماذا يصنعه الحياد المدعى .

غداً . وخير طريق أن يتم البحث والنقاش . من قبل البعض . المفروض أن تكون هناك حرية للكاتب . وحرية لمن يختلف معه . وإذا لم يصل النقاش لحد الاقناع . يترك التقدير فى هذه الحالة لمجلس الشعب . ومجلس الشعب حين يقضى فقد قضى الشعب .

صاحب القضية كلها : ما رأيه ..

ذهبنا للدكتور لويسس عوض فى مكتبه بالهرم . كان الوقت مساء ، وعندما طرحنا القضية عليه قال :

ـ لا تعليق لى على هذا الموضوع . طالما أن الأمر معروض على القضاء . ولكنى أحب أن أضيف أن كلاًّمنا مسئول أمام التاريخ الكاتب مسئول والقاضى مسئول . **والسادة الأجلاء الذين أقاموا من انفسهم قضاة**[1] .

إن التاريخ لا ينسى . والمثقفون المصريون . خاصة اساتذة الجامعات المعنيين ببحوث اللغة مسئولون أيضاً .

أنا شخصياً لا أدعى العصمة[2] . وكل ما أملكه هو الاجتهاد .. وفى اعتقادى أن المنهج الذى أرسيته فى كتابى وهو ضرورة امتحان اللغة العربية . بقوانين الصوتيات وعلم صور الكلمات المطبق على كل اللغات الأوربية . منهج سليم . وقد كنت أحب أن أناقش فيه لأنه لب الموضوع[3] . وفى تقديرى أن هذا الكتاب

---

(١) هل هم أقاموا أنفسهم قضاة ؟ !! أين التعليق هنا ؟ !! أم أنه الحياد ؟ ؟

(٢) الاعتراف سيد الأدلة لكنه ليس اجتهاد وليست عصمة .

(٣) المناقشة فيه قادمة إن شاء الله فى كتاب مستقبل . =

= **ملاحظة سريعة** : وحيث قد جعل الدكتور اللغة العربية هندية أوربية عن طريق أنه جعل الجنس العربي قوقازيا ، وبناء على هذا عقد مقارنات بين بعض مفردات فى العربية تتفق فى دلالتها وجذورها مع طائفة من المفردات فى بعض اللغات الهندية الأوربية ـ من وجهة نظره هو بالطبع .

ونسأل : وماذا عن بقية أسرة اللغات السامية ؟

وماذا يمكن أن يقال عن الدراسات اللغوية السامية المقارنة التى جعلت من العربية الفصيحة النموذج الأمثل للسامية ، أو أنها أقربها إلى السامية الأم ؟

هل نصرف النظر عن جهود العلماء ومؤلفاتهم فى هذا المجال ؟

وأيهما أصوب دراسات أقيمت على الموازنة بين القواعد نحوها وصرفها وعلى بقية الأنظمة اللغوية بما فيها المفردات والنظام الصوتى والدلالى وجذور الكلمات فى النهاية أم دراسة أقيمت على مجموعة من المفردات أى أنها أمسكت بريشة جناح طائر ، وتركته يطير فى الهواء ؟ ـ البحث العلمى يمسك بالصيد ويحلل كل عناصره .

وقد رد العالم الفرنسى رنيان فى مؤلفه القيم :

(Renan; Langues Semitiques P.448-et Suiv-) على مثل هذا حيث أن أعمالا شبيهة بهذا قد سبقت عمل الدكتور ـ وأظنه لا شك على بينه من أمرها ـ فإن العالمان الألمانيان فورست (Furst) ـ وديلتيزش (Delitzsch) قد تحايلا على التقريب بين الأصول السامية والأصول الأوربية وسارا فى طريق من التخمين رفضه جمهرة علماء اللغة .

كما أن ديليتزش delitzsch حاول عقد مقارنة بين مفردات فى العبرية الحديثة ومفردات فى اللغتين الإغريقية واللاتينية ولأنه من الواضح للباحثين أن المفردات التى أقام عليها دراسة كانت قد اقتبستها العبرية الحديثة من هاتين اللغتين لذلك جاء عمله يهدم نفسه بنفسه ـ وكل من ذهبوا مثل هذا المذهب رُفضت آراؤهم من جمهرة علماء اللغة المحققين ـ ولم يستطع القائلون بمثل هذه الأقوال أن يقدموا دليلا يعتمد عليه فى مقابلة النظرية الكاملة الأبعاد فى الدراسات المقارنة ـ ولم يجد الخارجون دليلا أو حجة تنهض بهم أولهم ـ فهل لديك أنت ما يستطيع أن ينهض بك وبمن سبقك فى هذا المجال .

عموما نأمل أن نلتقى قريبا فى التحليل العلمى لكل ما جئت به ـ والله يهدى إلى سبيل الرشاد وإلى الحق بإذنه .

بداية لتحديد فقه اللغة العربية فى زماننا . منذ أن انقطع الاجتهاد فيه . من أيام الخصائص لابن جنى . وأنا لم أورد شيئاً فى الكتاب من كلام السنة أو الأشاعرة . أو المرأ . الا ومنسوب لصاحبه . وأعمال هؤلاء كلها متداولة ومطبوعة على نفقته وزارة الثقافة . ويحسن أن اكتفى بهذا القدر من الكلام .

انتهى النقاش . والكل الآن فى انتظار أن تقول اللجنة الكلمة الأولى . فى الفصل فى موضوع هذا الكتاب الهام ..

يوسف القعيد

محمد الشاذلى

تابع الملاحـــق

القسم الثانى :

رد على مقال لغتنا الجميلة ليست لغة الضاد والدعوة إلى إحياء الثقافة اللغوية العربية على أن يوضع فى الاعتبار الاهتمام باتجاهين :

أولهما : النظرى .

والآخر : التطبيق العملى .

رد على مقال
لغتنا الجميلة ليست لغة الضاد

نشرت جريدة الأخبار مقالاً فى صفحتها التاسعة تحت عنوان : «لغتنا الجميلة ليست لغة الضاد» بقلم الدكتور رشدى البدراوى الأستاذ بطب القاهرة .

والمقال فى عمومه من وجهة نظر صاحبه ثورة لغوية اصلاحية ذات شقين :

احداهما : أن اللغة العربية ليست لغة الضاد .. ويرى أن من الخطأ اطلاق «حرف الضاد» نطقاً علماً على اللغة العربية وأهلها ، ولو أنصفوا لسموا اللغة العربية لغة الحاء» ، أو لسموها لغة العين» .

وفى حيرة واستنكار يقول :

«لا أدرى من الذى سمى اللغة العربية لغة الضاد فلا تنفرد اللغة العربية بهذا الحرف نطقاً حتى تتميز وتتسمى به من دون اللغات الأخرى ..

ويضرب أمثلة من لغات أخرى لحرف « D » ينطق ضاداً ..

ومما جاء فى مقاله أن كلمة «double» بمعنى مزدوج تنطق «ضبل» وحرف « D » ينطق فيها ضاداً مفخمة أكثر منه فى كلمة «ضرب» العربية .... الخ .

والشق الثانى من الثورة اللغوية الإصلاحية عنده أنه يطالب بأن تكون عندنا جيم نقطة واحدة و «جـ» جيم ثلاث نقط .. الأول بدون تعطيش والثانية معطشة منعا لكتابة «ريجان» «ريغان» ..

كما أنه يرى أن من الواجب أن تكون عندنا فاء عادية وفاء معطشة وكذلك حرف الباء بنقطة وبثلاث نقط» .

ثم يتصور الدكتور أن هناك من يعترض على هذا بالقول بأن ذلك سيكون إحداثا فى اللغة العربية ويحاول الرد عليه ويدافع عن وجهة نظره ... و...

وقبل أن أبدأ مناقشة ما جاء فى مقاله مناقشة موضوعية علمية فاننى أسجل عظيم تقديرى وشكرى للدكتور رشدى البدراوى لحبه للغة العربية «لغتنا الجميلة .. وغيرته عليها .. كما اننى أشيد بحسه اللغوى الصادق الذى ملك عليه نفسه وجعله يعيش متأملا موازنا بين ما فى نطق اللغة العربية وما فى نطق غيرها ..

وأما من حيث الرد على ما جاء فى المقال فاننى أبدأ من النقطة الأخيرة لأنه لا خلاف بيننا وبينه فيها ولا اعتراض لمعترض عليها .

والسبب فى ذلك راجع إلى أن حروف الهجاء فى كل اللغات لا تمثل أصوات اللغة ـ وأن الكتابة التى نعرفها فى الخط العربى المتداول أو فى تدوين اللغات الأوربية على النحو المعروف لنا ليست إلا وسيلة تقريبية يتفاوت نصيبها من الدقة تعبيرا عن الواقع الصوتى ..

وقد اضطر كثير من الباحثين الدارسين اللغويين إلى إضافة بعض الرموز عند تحليل كلمات غير عربية ـ فمثلا الأب رفائيل نخلة

اليسوعى اضطر إلى إضافة بعض الرموز عند تحليلاته لبعض كلمات من اليونانية فجعل رمز « KH » تلفظ كالخاء ورمز «GH » تنطق كالغين ورمز «TH » تلفظ مثل الثاء ورمز « DH » تنطق كالذال .. و..

وكما نعلم أن كثيراً من أصوات الحلق لا ينطقها الأوربى . على نحو ما أبديت أنت ملاحظتك لذلك لا نجد لها رموزاً فى كتاباتهم .. كما أن رمز « CH » فى الألمانية له صورتان صوتيتان ليس لهما مقابل فى العربية ..

فرموز الكتابة فى اللغات اختلفت باختلاف الأصوات . ولذلك اختلفت حروف الهجاء بين اللغات المختلفة وتبع ذلك اختلاف فى نطق المكتوب وأصواته .. الخ .

ونسأل الدكتور : إذا كانت اللغات الأخرى على حد قوله فيها حرف «D » ينطق «ضادا» ـ و «دالاً» مخففاً أو مضخماً ـ وكذلك حرف ال «س» وال «ص» يقابلها فى الانجليزية حرف واحد هو « S » تنطق «سيناً» وينطق «صاداً» ـ وكذلك . حرفا «التاء» ـ و «الطاء» يقابلها فى الانجليزية حرف ال « T » فلماذا لم يضع هؤلاء القوم للغتهم رموزاً تقابل تلك الأصوات عندهم .

ألم يسأل الدكتور نفسه ذلك السؤال ؟

ثم : لماذا لم يضعوا رمزاً للحاء وان يلزموا أنفسهم بنطقها ـ وكذلك العين ؟!

وعلى حد قولك أنت : «وحسبك أن تسمع أى شخص أوربى وهو ينطق اسم «حسن» ـ ويقولها « هسن » ومهما حاول أن ينطق

اسم الحاء فلن يزيدك إلاّ حيرة عن عجزه عن النطق به ـ «وكذلك العين فمهما حاول أجنبى أن ينطق اسم على تجده يقولها بالألف» .

والاجابة : أنا أسأل وأجيب ـ

السبب فى ذلك أيها الدكتور أن لكل لغة نظامها الصوتى الخاص بها من حيث عدد الحروف ومن حيث مخارج ومجارى وخصائص وصفات كل حرف ... و ... و ...

كما أن لكل لغة نظامها الخطى الذى تلتزمه فى بناء كلماتها ... و ... و ...

وكل لغة من اللغات تحاول أن تخضع الكلمات والأصوات الدخيلة لخصائصها فى النطق ولنظامها المقطعى ولأساليبها الصوتية ولعاداتها النطقية ولمقوماتها اللغوية والا لهزمت اللغة أمام اللغات الأخرى فى أخطر موقع ـ وهو موقع الخصائص الصوتية والعادات النطقية نتيجة للاحتكاك الدائم بين اللغات والصراع المستمر ـ خاصة فى عصرنا هذا الذى نحن فيه ـ عصر الاتصال السريع المستمر والتأثر والتأثير القوى الدائم ..

«واخطر المعاقل اللغوية فى ذلك معقل الأصوات ومعقل التراكيب» ..

حقاً ان الدرس اللغوى المحدث يهتم بربط الخط والاملاء بالدراسات الصوتية ويحاول أن يجعل الكتابة صورة للتعبير عن اللغة المنطوقة فى صورتها المسموعة ... ومن هنا جاءت محاولات متعددة وظهرت الأبجدية الصوتية ـ والكتابة الصوتية ولكن على أن تكتب اللغة كما ينطقها أبناؤها لا على أن تفرض على جماعة لغوية معينة

خصائص نطق جماعة لغوية أخرى ... و...

وإلا فمعنى ذلك أن اللغة تسلم أقوى حصن وأمنع قلعة فى معركة الصراع اللغوى.

حقاً علينا إن تعلمنا لغة قوم أن ننطقها كما ينطقها أبناؤها وكذلك غيرنا إن أرادوا تعلم لغتنا..

أما إن عَرَّبْنا كلمات دخيلة أو استعرنا مفردات أجنبية فيجب علينا أن نخضعها لخواص اللغة العربية الصوتية والنطقية وأن تطبق عليها العربية وأساليبها الصرفية والنحوية. وهذا ما تصنعه كل اللغات وما صنعته اللغات الأوربية مع ما اخذته من العربية فى العصور المختلفة سواء فى العصور الوسطى أو الحديثة.

وأضيف أن النطق الأصيل للعربية كما وصفه علماء اللغة العربية القدماء فى عصور الاحتجاج لم يعرف «V» ولا «P» ولا «J» بصفاتها المعروفة لدى اللغويين اليوم.

ومن الجدير بالذكر أنه لا يوجد فى عرف الدراسات اللغوية ما يطلق عليه اسم الفاء المعطشة ولا الباء المعطشة وإنما يقال الباء المهموسة للباء الدخيلة ـ أما الباء العربية الاِصيلة فهى صامت مجهور شفوى اسنانى انفجارى ـ

وأما الباء العربية الأصيلة فعند النطق بها تكون أطراف الثنايا العليا فى باطن الشفة السفلى ... و...

وإن كثيراً من أصوات اللغة العربية الأصيلة أصابها تطور نتيجة لكثير من العوامل ولقوانين صوتية تحكمت فى عملية النطق واخضعتها للغة التخاطب ولعادات اللهجات الدارجة ـ ومن بينها على سبيل

التمثيل : قانون «السهولة واليسر» الذى أخضع لنطقنا الكثير من أصوات اللغة العربية وجعل نطقنا لها اليوم غير مطابق للنطق العربى الأصيل بل صار تحريفاً وتشويها له ... و ...

ومن أهم الأصوات التى أصابها تطور فى النطق وهو ملحوظ لنا جميعاً صوت الثاء ــ والذال ــ والظاء ــ فلا ينطقها حتى المتفقون كما ينبغى وذلك بأن يكون طرف اللسان بين أطراف الأسنان العليا وقد يدهش القارىء إذا علم أن صوت الطاء أصابه تطور وتغير نطقنا له عن النطق العربى الأصيل .. وكذلك صوت الراء وصوت اللام ..

أما صوت القاف فأمره واضح لنا جميعاً فقد نال من أنواع التطور ما يدعو إلى العجب فجماعة ينطقون «القاف «جافا» فيقولون «جلم» بدل «قلم» وجماعة ينطقونه «آف» فيقولون «ألم» بدل «قلم» وجماعة ينطقونه «كاف» فيقولون مثلاً «برتكان» بدل «برتقال» كما نسمع من بعض الناطقين خاصة فى صعيد مصر .. وهكذا ... و...

ونأتى لمربط الفرس ومحط تساؤل الكاتب الذى يقول فيه : «لا أدرى من الذى سمى العربية لغة الضاد فلا تنفرد العربية بهذا الحرف نطقاً حتى تتميز وتتسمى به» .

وأقول : إن كنت لا تدرى من الذى سمى اللغة العربية بهذا الاسم لغة الضاد ..

فتلك فى الحقيقة قضية كبرى وجريمة فى حق الثقافة اللغوية بصفة عامة .

ولو أن الكاتب الدكتور كلف نفسه أن يقرأ أو حتى يسأل أو

يبحث لوجد أن نطق صوت الضاد الأصيل الذى عرفت العربية به غير حرف الضاد الذى يجده فى اللغات الأخرى والذى ننطقه نحن اليوم فى مصر فما ننطقه فى مصر هو فى الحقيقة «دال مطبقة» .

وما ينطقه أخوة لنا ينطقون العربية فى بلاد أخرى هو غير الضاد العربية الأصيلة فبعضهم ينطق الضاد صوتاً قريباً من الظاء وبعضهم قريباً من الذال المطبقة أو الزاى المطبقة ... الخ ...

وسبب ذلك أن هذا الحرف الأصيل الذى عرفت العربية به حرف صعب عصى النطق إلا على القرشى ..

وطريقة نطق الضاد الأصيلة انه ينطق من حافة اللسان وما يليها من اضراس الجهة اليمنى أو الجهة اليسرى أو منهما معاً مع الاطباق وهو ارتفاع وسط اللسان فى تقعر إلى الطبق الأعلى من الحنك بالاضافة لأنه حرف رخو أى أن الصوت يجرى فيه .

ومعنى ذلك أنه صوت صعب النطق وسميت العربية به لذلك وأحب أن أضيف أن هذا الصوت عصى النطق حتى بعض القبائل العربية من غير قريش وقد ألف العلماء فيه مؤلفات عدة فى القديم والحديث من بينها على سبيل التمثيل فى القديم مؤلف عنوانه : «كتاب يشتمل على الفرق بين الضاد والظاء من تأليف الشيخ الامام جمال الدين بن مالك .

وفى الحديث نشر المجمع العلمى العراقى كتاباً للدكتور رمضان عبد التواب تحت عنوان : مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والظاء .

ومن هنا يجىء سبب كتابتى لهذا المقال وهو بيان أن الثقافة

اللغوية العامة فى خطر وأن اللغة العربية فى خطر داهم يتهددها من كل الجوانب .

وأنه إن كان يجب أن تكون هناك ثورة لغوية إصلاحية فيجب أن تأخذ فى اعتبارها اتجاهين .

اتجاه نحو تعميق الثقافة اللغوية العامة لأن هناك ما يشبه الأمية فى هذا المجال حتى بين المتعلمين على مختلف ثقافتهم ..

واتجاه آخر تطبيقى يضع فى اعتباره العودة إلى النطق اللغوى العربى السليم وذلك بتطبيق نطق الحروف ومعرفة خصائصها معرفة علمية عملية تطبيقية سليمة ويكون ذلك منذ بداية العملية التعليمية على أن يوضع فى الاعتبار عملية النهوض باللغة العربية من كل جوانبها .

وارجو ألا ينزعج القارىء وإن كان الأمر مزعجاً حقاً وخطيراً وهو أن كثيرين يحرفون نطق القرآن الكريم ومن بينهم مع الأسف بعض القارئين فى الإذاعة المسموعة والمرئية وذلك بسبب غلبة عادات لغة التخاطب واللغة الدارجة على عاداتهم النطقية ـ والقراءة سنة يجب قبولها والمصير إليها والقرآن تلق ورواية وليس دراية ولا يؤخذ القرآن عن مصحفى .

ومن هنا جاء مقال الدكتور محركا لتلك المواجع كلها فى نفسى .

والله أسأل أن يوفقنا ويوفق المسؤلين للسداد والصواب .

وإلى الطيب من القول وإلى صراط العزيز الحميد .

الفهرست

فهرس المحتوى

الموضوع	من	إلى
التقديم	**٥**	**٢٠**
المقدمة	**٢١**	**٢٧**

الفصل الأول

مقالات (١) و (٢) و (٣)

تناقش المغالطات العامة حول إعجاز القرآن الكريم وحول نظام الحكم فى الاسلام وحول مواقف السلف الصالح من علماء المسلمين رضوان الله عليهم من هذه القضايا .

الفصل الثانى

مقالة (٤) ومقالة (٥)

ويناقش أكاذيبه حول أن أناساً من البشر أتوا بمثل القرآن ـ وحول مزاعمه عن الصلة التى ادعاها بين إعجاز القرآن والسيطرة على الشعوب وبقية ما ادعاه من أقوال على علماء المسلمين لم يقولوها .

الفصل الثالث

مقالة (٦) ومقالة (٧)

مناقشة دعاوى باطلة حول إعجاز القرآن الكريم ضد الشيخ عبدالقاهر الجرجانى والقاضى عبدالجبار والشيخ أبى الهاشم الجبائى .

الفصل الرابع

مقالة (٨) ومقالة (٩)

مناقشة أكاذيبه حول نزول الوحى أو القرآن على آل البيت وبأن آل البيت وحدهم كانوا وعاء الوحى الإلهى ودعاوى أخرى باطلة حول العقيدة من نحو قوله : ان علماء المسلمين قالوا باتخاذ إلهين اثنين ـ وبترجمة القرآن الكريم إلى آخر ما ادعاه من دعاوى باطلة .

الفصل الخامس

مقالة (١٠) ومقالة (١١)

مناقشة أقواله حول لغة القرآن ـ وبيان أن لغة القرآن هى معيار الصحة والفصاحة بالبحث العلمى والدراسة اللغوية وليس كما يزعم من أن انتصار الإسلام جعل العلماء يسيرون فى ركاب القوة ويقولون إن لغة العرب أفضل اللغات إلى آخر ما قال .

الفصل السادس

مقالة (١٢) ومقالة (١٣)

مناقشة دعواه حول أصل اللغة العربية ـ وأصل الجنس العربى ـ وتفنيد أقواله حول أن الجنس العربى من أصل قوقازى ـ وأن اللغة العربية من أصل هندى أوربى إلى آخر ما جاء من دعاوى عن العرب واللغة العربية ـ والحضارة العربية .. الخ .

الفصل السابع

فصل الملاحق

وينقسم قسمين : القسم الأول من الملاحق . ـ مقال الأستاذ رجاء

النقاش عن مصادرة كتاب د. لويس عوض ـ «مقدمة فى فقه اللغة العربية».

ـ التحقيق الصحفى الذى جاء فى مجلة المصور حول موضوع مصادرة نفس الكتاب والذى جاء تحت عنوان كتاب أمام القضاء.

أما القسم الثانى من الملاحق :

وفيه رد على مقال لغتنا الجميلة ليست لغة الضاد.

كما أن فيه دعوى إلى إحياء الثقافة اللغوية العربية على أن يأخذ ذلك الإحياء مسارين ـ أولها نظرى ـ وثانيها تطبيق عملى.

صدر من هذه السلسلة

الكتاب	المؤلف
١ ـ تأملات فى سورة الفاتحة	[الدكتور حسن باجودة]
٢ ـ الجهاد فى الإسلام مراتبه ومطالبه	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
٣ ـ الرسول ﷺ فى كتابات المستشرقين	[الأستاذ نذير حمدان]
٤ ـ الإسلام الفاتح	[الدكتور حسين مؤنس]
٥ ـ وسائل مقاومة الغزو الفكرى	[الدكتور حسان محمد حسان]
٦ ـ السيرة النبوية فى القرآن الكريم	[الدكتور عبد الصبور مرزوق]
٧ ـ التخطيط للدعوة الإسلامية	[الدكتور على محمد جريشة]
٨ ـ صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الإسلامية	[الدكتور أحمد السيد دراج]
٩ ـ النوعية الشاملة فى الحج	[الأستاذ عبد الله بوقس]
١٠ ـ الفقه الإسلامى آفاقه وتطوره	[الدكتور عباس حسن محمد]
١١ ـ لمحات نفسية فى القرآن الكريم	[د. عبدالحميد محمد الهاشمى]
١٢ ـ السنة فى مواجهة الأباطيل	[الأستاذ محمد طاهر حكيم]
١٣ ـ مولود على الفطرة	[الأستاذ حسين أحمد حسون]
١٤ ـ دور المسجد فى الإسلام	[الأستاذ على محمد مختار]
١٥ ـ تاريخ القرآن الكريم	[الدكتور محمد سالم محيسن]
١٦ ـ البيئة الإدارية فى الجاهلية وصدر الإسلام	[الأستاذ محمد محمود فرغلى]
١٧ ـ حقوق المرأة فى الإسلام	[الدكتور محمد الصادق عفيفى]
١٨ ـ القرآن الكريم كتاب أُحكمت آياته [١]	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
١٩ ـ القراءات أحكامها ومصادرها	[الدكتور شعبان محمد اسماعيل]
٢٠ ـ المعاملات فى الشريعة الإسلامية	[الدكتور عبد الستار السعيد]
٢١ ـ الزكاة فلسفتها وأحكامها	[الدكتور على محمد العمارى]
٢٢ ـ حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم	[الدكتور أبو اليزيد العجمى]
٢٣ ـ الأقليات المسلمة فى آسيا وأستراليا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٢٤ ـ الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر	[الدكتور عدنان محمد وزان]
٢٥ ـ الإسلام والحركات الهدامة	[معالى عبد الحميد حموده]

الكتاب	المؤلف
٢٦ ـ تربية النشء فى ظل الإسلام	[الدكتور محمد محمود عمارة]
٢٧ ـ مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامى	[الدكتور محمد شوق الفنجرى]
٢٨ ـ وحى الله	[الدكتور حسن ضياء الدين عتر]
٢٩ ـ حقوق الإنسان وواجباته فى القرآن	[حسن أحمد عبدالرحمن عابدين]
٣٠ ـ المنهج الإسلامى فى تعليم العلوم الطبيعية	[الأستاذ محمد عمر القصار]
٣١ ـ القرآن كتاب أحكمت آياته [٢]	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
٣٢ ـ الدعوة فى الإسلام عقيدة ومنهج	[الدكتور السيد رزق الطويل]
٣٣ ـ الاعلام فى المجتمع الإسلامى	[الأستاذ حامد عبد الواحد]
٣٤ ـ الإلتزام الدينى منهج وسط	[عبدالرحمن حسن حبنكة الميدانى]
٣٥ ـ التربية النفسية فى المنهج الإسلامى	[الدكتور حسن الشرقاوى]
٣٦ ـ الإسلام والعلاقات الدولية	[الدكتور محمد الصادق عفيفى]
٣٧ ـ العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية	[اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ]
٣٨ ـ معانى الأخوة فى الإسلام ومقاصدها	[الدكتور محمود محمد بابللى]
٣٩ ـ النهج الحديث فى مختصر علوم الحديث	[الدكتور على محمد نصر]
٤٠ ـ من التراث الاقتصادى للمسلمين	[الدكتور محمد رفعت العوضى]
٤١ ـ المفاهيم الاقتصادية فى الإسلام	[د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر]
٤٢ ـ الأقليات المسلمة فى أفرقيا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٤٣ ـ الأقليات المسلمة فى أوروبا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٤٤ ـ الأقليات المسلمة فى الأمريكتين	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٤٥ ـ الطريق إلى النصر	[الأستاذ محمد عبد الله فودة]
٤٦ ـ الإسلام دعوة حق	[الدكتور السيد رزق الطويل]
٤٧ ـ **الأسلام والنظر فى آيات الله الكونية**	[الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى]

طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة